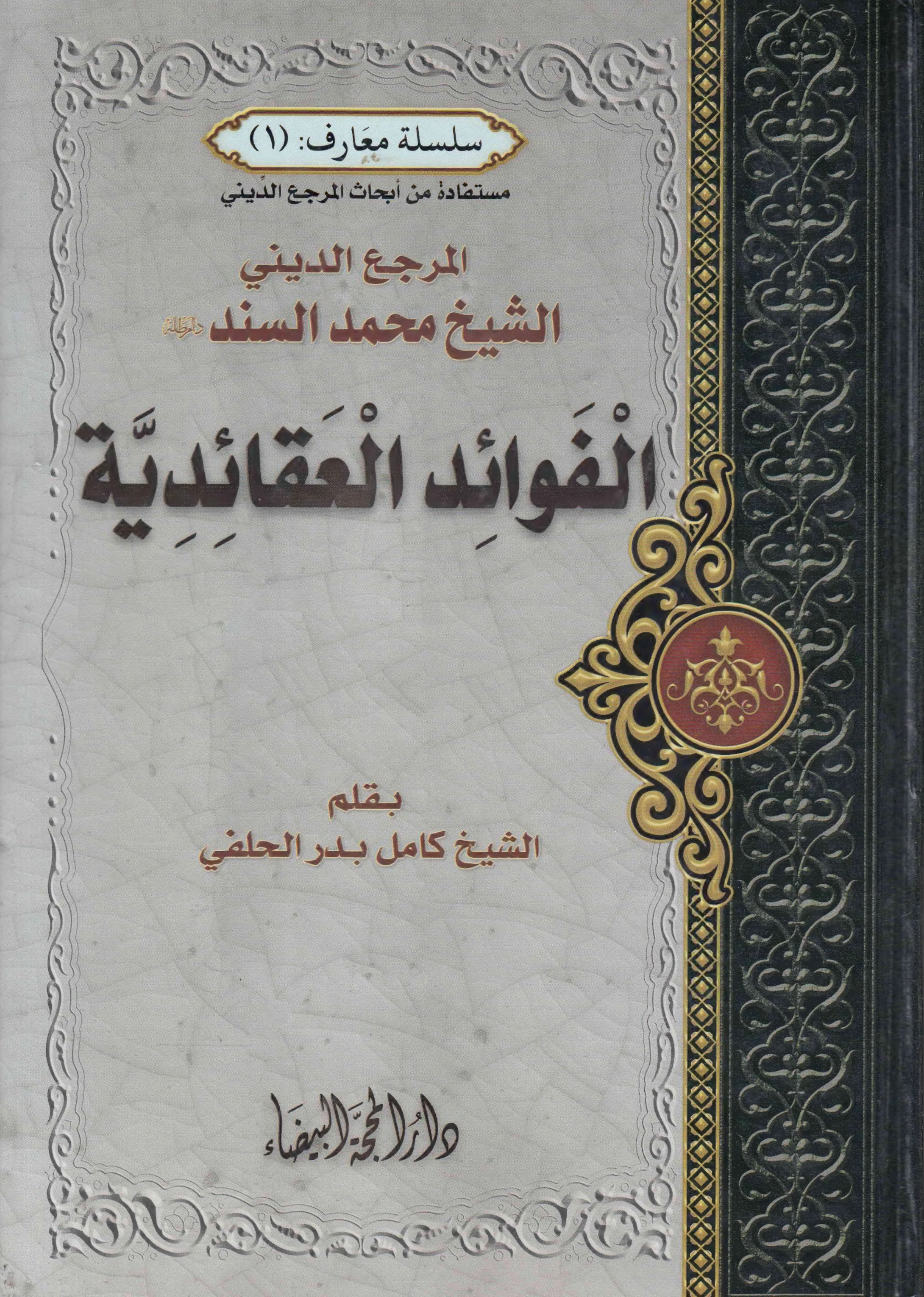

سلسلة معَارف: (١)
مستفادة من أبحاث المرجع الدِّيني
المرجع الديني
الشيخ محمد السند دام ظله
الْفَوائِد الْعَقائِدِيَّة
بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي
دار المحجة البيضاء



الْفَوائِد الْعَقائِدِيَّة

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨م
ISBN 978-614-426-920-6

دار المحجة البيضاء
الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال - ص.ب: ١٤/٥٤٧٩
هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
almahajja@terra.net.lb info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

سلسلة معارف : (١)

مستفادة من أَبحاث المرجع الدِّيني

سماحة الشيخ مُحَمَّد السند (دام ظله)

الْفَوائِد الْعَقائِدِيَّة

بقلم

الشيخ كامل بدر الحلفي

دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الَّذي يئست عن الاستنباط الإِحاطة به طوامع العقول ، ونضجت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم ، ورجعت بالصِّغر من السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم ، والصَّلاة والسَّلام على أَشرف الخلق وحبيب الحقِّ ، نبيّ الرَّحمة ، وشفيع الأُمَّة سيدنا محمَّد خاتم النبيين ، وعلى آله المطهَّرين المعصومين ، واللَّعن الدَّائم على أَعدائهم أَجمعين إلى قيام يوم الدِّين .

وبعدُ ...

إِنَّ من نِعم الله عليَّ أَن كان لي شرف الحضور في مجلس درس سماحة مولانا المرجع الدِّيني الشيخ مُـحَمَّد السند دام ظله ، وقد وفقت لتحرير بعض ما أملاه علينا من درر فوائد باكرة ، وجواهر من أَبحاثه القيِّمة ، مقتطفة من شجرة طيِّبة ، فكانت فوائد فقه العقائد ، ها أَنا ذا أُقدِّم نبذة منها إلى القارئ الكريم ، آملاً أن يقع ذلك منه موقع القبول والرِّضا ، تصدر تباعاً ضمن سلسلة معارف دينيَّة متنوعة ، هذا هو القسم الأَوَّل منها في (مائة وست وستين) فائدة ، منتشرة على (تسعة وثلاثين) باباً في ستة مقاصد ، تمتاز بجزالة

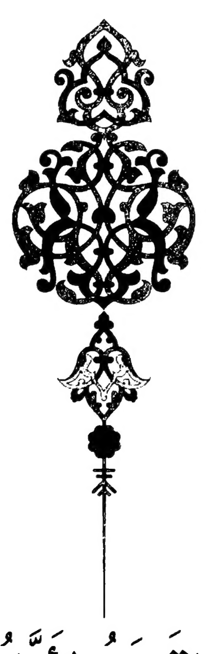
التَّقرير ، وقد حظي هذا القسم بفائق لطفه وعنايته دام ظله فطالعه بتمامه ، ويليه القسم الثاني (إِنْ شاء الله تعالى) في مقصدين ، يختصُّ الأَوَّل منهما بـ : (قواعد أُصول الفقه في علم الكلام) ، وما يصطلح عليه بـ : (منهج المعرفة) أَو (نظريَّة المعرفة) أَو (منطق المعرفة الدِّينيَّة) ، والثَّاني بـ : (القواعد العامَّة في عالم التَّكوين)، وما يصطلح عليه بـ : (الإِلهيَّات بالمعنى الأَعم) ، مبسوط في (مئتين وثلاثين) فائدة تقريباً.

أَدام الله أَيام إِفاضات شيخنا الأَجل ، ومتَّعنا وجميع المسلمين بطول بقائه الشَّريف.

ونسأله سبحانه وتعالى العون والتَّوفيق وحسن القبول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

النجف الأشرف

٤/ ربيع الثَّاني/ ١٤٣٨هـ



المَقصَدُ الأَوَّلُ

قواعد أُصول الفقه في علم الكلام

منهج المعرفة

نظريَّة المعرفة

منطق المعرفة

وفيه : خمسة أبواب

الباب الأَوَّلُ

لسان ومصطلحات المعرفة والنظام اللُّغوي فيها

نظام القراءات في النَّصِّ الدِّيني

وفيه : ثماني عشرة فائدة

الفائدة : (١)

حقيقة الوضع

إنَّ المقصود من القاعدة اللُّغويَّة : (خذ الغايات واترك المبادئ): أَنَّ الأصل الأَوَّلي في وضع الأَلفاظ أَنَّه للمعاني المجرَّدة دون المصاديق الماديَّة ، فلفظ اليد ـ مثلاً ـ موضوع : للقوَّة والقدرة والسَّلطنة والبطش ، وهي غاية الجارحة ، لا للجارحة نفسها، فقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [١] أي : قوته وهيمنته وسلطنته ، وعليه : فلا تحتاج إلى تأويل.

وعلى هذا قس الأشباه والنَّظائر ، فعندما يراد وصف الباري تعالى فلابُدَّ من نزع الشَّوائب الحاصلة من المصاديق عن المعاني.

---

(١) الفتح : ١٠.

والمعروف لدى المناطقة : أَنَّ تعريف الشيء بغايته أَبيّن تعاريف هويته وحقيقته من تعريفه بجنسه وفصله ، ومادته وصورتهِ ؛ فإِنَّ لُبَّ الشيء وروحه غايته.

وهذا ما ذهب إليه الملّا صدرا أَيضاً ، وعبَّر عن تلك القاعدة : أَنَّ الألفاظ موضوعة لأَرواح المعاني.

وهذه نكتة مهمَّة في قراءة النُّصوص الوحيانيَّة للمعارف ، تمرُّ على الذِّهن ولا يلتفت إليها.

وهذا المحذور هو الَّذي أوقع إبليس ؛ فإِنَّه أَقتصر في لحاظه على الجانب الماديِّ في آدم عليه السلام ، وغفل عن الجانب الرُّوحي والمُجرَّد فيه ، وهذا مفاد ما رواه المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام : **((يا مفضل : ... وأمر إِبليس بالسجود لآدم. والسجود : هو الطَّاعة لا الصَّلاة ، فأبى واستكبر ، وقال : لا أَسجد لبشر ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين ، فافتخر على آدم ، وعصى الله، وقاس ويله النَّار بالنُّور ، وظنَّ أَنَّ النَّار أَفضل ، ولو علم أَنَّ النُّور الَّذي في آدم وهو الرُّوح الَّتي نفخها الله فيه ؛ كان أَفضل من النَّار الَّتي خُلِقَ منها إِبليس لفسد قياسه...))** [١].

---

(١) الهداية الكبرى ، الباب الرابع عشر : باب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام / ٥٢٦/ ح ٦٦ . ونحوه في علل الشرائع ، ١/ الباب : ٨١/ ٨٧/ ح٣ . وفي الإِختصاص : ١٠٩ .

بل وهكذا حال الملائكة [١] ، وإِن كان أَخف حالاً مما صدر عن إِبليس، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢] .

ومنه **يتَّضح** : أَنَّ مَنْ أراد أن تحصل له المعرفة فلا بُدَّ أَن ينزه السَّاحة الربوبيَّة فكريّاً وواقعيّاً ، فإِنَّ التَّنزيه عمليَّة فكريَّة تعني التَّصفية عن شوائب الماديَّات ، بل عن مطلق شوائب المخلوقات من دون تعطيل.

الفائدة : (٢)

الاشتقاق اللُّغوي

من الأمور المهمَّة في باب المعارف : التَّدقيق في الاشتقاق اللُّغوي ، فإِنَّ التَّوغُّل فيه يختصر كثيراً من أُمور الإِستدلال والفحص.

والاشتقاق اللُّغوي على خمسة أَنواع ـ وهذا أَحد تفاسير بيان ما ورد عنهم عليهم السلام : أَنَّ للقرآن الكريم بطوناً [٣] ـ :

الأوَّل : أَنْ يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتَّرتيب دون الحركات ، نحو : ضَرْب ، ضَرَب.

---

(١) **والفارق بينهما** : أَنَّ الملائكة ترعوي إذا ردعت بخلاف إبليس.

(٢) البقرة : ٣٠.

(٣) بحار الأنوار ، ٩٢ : ٩١ ـ ٩٥ .

الثَّاني : أَنْ يكون بينهما تناسب في الحروف دون التَّرتيب ، نحو : ضَرَب ، رَبَض.

الثَّالث : أَنْ يكون بينهما تناسب في حرفين ، نحو : ما جاء في مُحاجَّة الزهراء عليها السلام لعمر ، حينما استشهدت لحقِّها بقوله تعالى : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (١) ، فنظر الأوَّل إليه وقال : ما تقول ؟ فقال عمر : ومَنْ اليتامى والمساكين وأبناء السبيل ؟ فقالت عليها السلام : اليتامى : **الَّذين يأتمُّون بالله وبرسوله ، وبذي القربى ، والمساكين : الَّذين أُسكنوا معهم في الدُّنيا والآخرة ، وابن السَّبيل : الَّذي يسلك مسلكهم** (٢) .

الرابع : أَنْ يكون بينهما تناسب في حرف واحد ، مثاله : الحروف المقطَّعة في القرآن الكريم ، عن أَبي عبد الله عليه السلام ، قال : **((كهيعص ، هذا أَسماء الله مقطَّعة ، وأَمَّا قوله : ﴿كهيعص﴾ ، قال : الله هو الكافي الهادي العالم الصَّادق ذو الأيادي العظام ، وهو قوله كما وصف نفسه تبارك وتعالى))** (٣) .

---

(١) الحشر : ٧ .

(٢) الكشكول في ما جرى على آل الرسول ، ٢٠٣ . بحار الأنوار ، ٢٩ : ١٩٤ / ح٤٠ .

(٣) تفسير القمي ، سورة مريم : ٤٠٥ . وتأويل الآيات الظاهرة في فضال العترة الطاهرة ، في تفسير سورة مريم : ٢٩٣ .

الخامس : أَنْ يكون بينهما تناسب في الحروف الأَصليَّة ، أَي : ما عدا المُعتلَّة (الهمزة ، الأَلف ، الياء ، الواو) ، نحو : (هو ، هوية) ، و (موه ، ماهية).

وينبغي الإِلتفات : أَنَّ علم الاشتقاق له تأثير في علومٍ شتى ، منها : علوم : المعارف ، والأصول ، والتَّفسير ، والفلك ، والجفر ، والسحر.

الفائدة : (٣)

أنواع التَّرادف في المنهج المعرفي

ينبغي الإِلتفات : أَنَّ للتَّرادف أَنحاء وأَقسام ثلاث :

أَحدها : اللُّغوي ، والمراد منه : اشتراك الأَلفاظ المُتعدِّدة في معنى واحد.

مثاله : إِشتراك لفظ الإِنسان والبشر في الحيوان الناطق.

ثانيها : التَّرادف العقلي (المعنوي) ، والمراد منه : إِتحاد واشتراك المعنيين أَو المعاني في جزء المعنى ، كالجنس القريب أَو جنس الجنس ، بعيداً أَكان أَم متوسطاً.

مثاله : إِشتراك ماهيَّة وحقيقة الحيوان النَّاطق مع غيره ـ كالصَّاهل ـ في الحيوانيَّة ، فتترتَّب آثار ذلك الجزء المُشترك ـ كـ (كونه حساساً مُتحرِّكاً بالإِرادة) ـ وأَحكامه التَّكوينيَّة المشتركة بينهما ، وحينئذٍ إِذا دلَّ الدليل على ترتُّب آثار وأَحكام ذلك الجزء المشترك على أَحد المترادفين فلا محالة من دلالته عقلاً على ترتُّبها على المرادف الآخر.

ثالثها : التَّرادف الوجودي (التَّكويني) ، والمقصود منه : الإِتحاد في اللَّوازم الوجوديَّة ، بمعنى : وحدة الإِرتباط والعلائق.

مثاله في التَّلازمات الماديَّة : وحدة نظام حلقات الطبائع في الأَرض (الدورة الطبيعيَّة في الأَرض كما هو المصطلح في علم الأَحياء) ، فالمياه ـ مثلاً ـ تُؤثِّر على الهواء والتربة ، وكذا العكس.

مثاله في التَّلازمات بين الجانب المعنوي والمادي : المعاصي ، ومن ثَمَّ ورد في بيانات الرِّوايات : أَنَّها تمنع قطر السماء ، والقضاء بغير الحقِّ يحجب بركات السماء عن الأَرض.

ثُمَّ إِنَّ اكتشاف هذا النحو أَصعب من سابقه ؛ لأَنَّه يتخطَّى عالم المعنى إلى تقصِّي العينيَّة الواقعيَّة ، وملاحظة الآثار والتأثيرات والتَّسبب في التَّأثير والتَّقارن في الوجود.

فالتَّرادف الوجودي إِذنْ لا ينحصر في التَّلازمات والملازمات الوجوديَّة ، ووحدته بوحدة النظام والمنظومة للوجود والموجودات ، وبالتَّالي منظومة الوجود وأنظمته أَوسع ترابطاً بين الأَشياء المختلفة من ترابطها من حيث المعنى سواء أَكان بتمامه أَم بجزءه.

وهذا بخلاف التَّرادف العقلي ، فإِنَّ وحدته بوحدة معنويَّة ، ووحدة موضوع ولو بجزء المعنى ، وهو أَدنى من وحدة النظام.

أَمَّا التَّرادف اللُّغوي فوحدته بوحدة تمام المعنى ، كما هو واضح.

الفائدة : (٤)

مرادفات الآية

يوجد ترادف عقلي بين وجه الله وبين بقيَّة مرادفات الآية ، فإِنَّ الوجه هو الإِتجاه ، وكذا البقيَّة.

وللآية مرادفات عقليَّة كثيرة ، منها :

١ـ الاسم [١] ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢] .

٢ـ الحرف ، عن الإِمام موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أَبيه علي بن الحسين ، عن أَبيه الحسين بن علي عليهم السلام ، قال : ((**جاء يهودي إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وعنده أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : ما الفائدة في حروف الهجاء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام : أَجبه ، وقال : اللَّهُمَّ وفقه وسدده ، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : ما من حرفٍ إِلَّا وهو اسم من أَسماء الله عز وجل ...**)) [٣] ، وعنه عليه السلام أَيضاً : ((**سأل عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ما تفسير أَبجد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : تعلَّموا تفسير أَبجد ، فإِنَّ فيه الأَعاجيب كلّها ، ويل لعالم جهل تفسيره ،**

---

(١) إِنَّ استعمال لفظة الاسم تُطلق ويراد بها : تارة ما يقابل الحرف ، وهو المعروف والمشهور على الأَلسن ، وأُخرى ما يرادف الحرف بالتَّرادف العقلي ، وهو المراد هنا.

(٢) الأعراف : ١٨٠.

(٣) بحار الأنوار ، ٢ : ٣٢٠/ ح٤ . معاني الأَخبار ، ١/ باب : معاني حروف المعجم/ ح٢.

فقيل : يا رسول الله ما تفسير أَبجد ؟ قال : أَمّا الأَلف : فآلاء الله حرف من أسمائه...)) [(١)] .

٣ـ العبرة ، والتّعبير ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [(٢)] ، وقال تقدَّس ذكره : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [(٣)] .

٤ـ الكلمة ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [(٤)] ، وقال تقدَّس ذكره : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [(٥)] .

٥ـ الدِّلالة ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [(٦)] . وعن أمير المؤمنين عليه السلام : **((... يا مَنْ دَلَّ على ذاتِهِ بذاتِهِ...))** [(٧)] .

---

(١) بحار الأنوار ، ٢ : ٣١٧/ ح٢ . معاني الأخبار ، ٢ : ٤٦ . أمالي الصدوق ، ٢ : ٢٦١ .

(٢) يوسف : ١١١ .

(٣) يوسف : ٤٣ .

(٤) النساء : ١٧١ .

(٥) الكهف : ١٠٩ .

(٦) الفرقان : ٤٥ .

(٧) دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام .

٦ـ البرهان ، قال تعالى : ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ (١) .

٧ـ الوسيلة ، والتَّوسُّل ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (٢) ، وعنه عليه السلام : ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَتوسَّل إِليك يا أسرع الحاسبين ، ويا أَكرم الأَكرمين ، ويا أَحكم الحاكمين بمحمَّدٍ خاتم النبيين ورسولك إلى العالمين أَجمعين ، وبأَخيه وابن عمه الأَنزع البطن ، العالم المكين علي أمير المؤمنين ، وبفاطمة سيدة نساء العالمين ، وبالحسن الزكي عصمة المتقين ، وبأَبي عبد الله الحسين أَكرم المستشهدين ، وبأَولاده المقتولين ...**)) (٣) .

٨ـ الصِّفة ، عن أَمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل : ((**...أَسأَلُك بحقِّك وقُدْسِكَ وأَعظم صفاتك وأَسمائك...**)).

٩ـ الإِشارة ، عن الإِمام علي بن الحسين عليه السلام : ((**اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد عبدك ورسولك ، ومفتاح باب جنتك ، والناهض بأعباء مواثيق عهدك إلى عبادك ، وذريعة المؤمنين إلى رضوانك ، والمستقل بما حملته من الإشارة بآياتك...**)) (٤) .

---

(١) القصص : ٣٢.

(٢) المائدة : ٣٥.

(٣) بحار الأَنوار ، ٩٨ : ٣٢٣/ ٨ . الصحيفة الهاديَّة والتحفة المهديَّة : ٢١٧ .

(٤) الصحيفة الكاملة السجاديَّة ، ١٠ ـ دعاؤه عليه السلام في الصَّلاة على النبيِّ صلى الله عليه وآله / ٣٢ .

١٠ـ الظُّهور ، قال تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١) .

١١ـ التَّجلِّي ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ (٢) .

١٢ـ المَثَل (٣) ، قال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤) .

١٣ـ الظِّل ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٥) .

١٤ـ الصِّراط ، قال تعالى : ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٦) .

١٥ـ البيان ، قال تعالى : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٧) .

---

(١) التوبة : ٣٣.

(٢) الأعراف : ١٤٣ .

(٣) من أراد الإطلاع على الفارق بين (المَثَل) و (المِثْل) فليراجع الفائدة : (٨).

(٤) آل عمران : ٥٩ .

(٥) الفرقان : ٤٥ .

(٦) سبأ : ٦ .

(٧) آل عمران : ١٣٨ .

١٦ـ السِّمة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(١)] ، وقال تقدّس ذكره : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [(٢)] .

١٧ـ المعلول ، ففي الدُّعاء : ((... **وتحيتك ورحمتك على محمّدٍ عبدك ورسولك ، الفاتح لما انغلق ... اللَّهُمَّ فافسح له مفسحاً عندك ، واعطه من بعد رضاه الرضا من نور ثوابك المحلول ، وعطاء جزائك المعلول ...**)) [(٣)] .

١٨ـ الإِضافة ، عن محمَّد بن مسلم ، قال : ((**سألت أَبا جعفر** عليه السلام **عن قول الله** عزّ وجلّ : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [(٤)] **كيف هذا النفخ ؟ فقال : إِنَّ الرُّوح مُتحرِّكة كالرِّيح ، وإِنَّما سمي روحاً لأَنَّه اشتق اسمه من الرِّيح ، وإِنَّما أَخرجه على لفظة الرُّوح ؛ لأَنَّ الرُّوح مجانس للريح ، وإِنَّما أَضافة إلى نفسه لأَنَّه اصطفاه على سائر الأَرواح ، كما اصطفى بيتاً من البيوت فقال : بيتي ، وقال لرسول من الرُّسل : خليلي ، وأشباه ذلك ، وكلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر**)) [(٥)] .

١٩ـ النِّسْبَة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : ((**مَنْ أَحبَّ أَن يخرج من الدُّنيا وقد خلص من الذنوب كما يخلص الذهب لا كَدَر فيه وليس أَحد يطلبه بظلمة**

---

(١) الحجر : ٧٥، ٧٦، ٧٧.

(٢) الفتح : ٢٩.

(٣) اقبال الأعمال : ٤٨٢ . بحار الأنوار ، ٩٥ / ٤ ـ (باب) أعمال يوم الغدير وليلته وأدعيتهما / ٣٠٨ / ح٣.

(٤) الحجر : ٢٩.

(٥) بحار الأنوار ، ٤ : ١١/ ح٣ . معاني الأَخبار ، ١٧ : ح٥ . الكافي ، ١/ باب الروح/ ١٩٦/ ح٣.

فليقرأ في دبر الصَّلوات الخمس نسبة الرَّبّ تبارك وتعالى : ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[١] ، **ويبسط يديه ويقول ...))**[٢] .

٢٠ـ الطَّريق ، قال تعالى : ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣] .

٢١ـ السَّبيل : قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾[٤] .

٢٢ـ الوجه ، والجهة ، والإتِّـجاه ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥] ، وفي الحديث القدسي : ((... **يامحمَّد : ومَنْ أَراد من أُمتك حفظي وكلاءتي ومعونتي فليقل عند صباحه ومسائه ونومه : ... فإِنَّه إِذا قال ذلك جعلت له في خلقي جهة ، وعطفت عليه قلوبهم ، وجعلته في دينه محفوظاً))**[٦] ، وعن الإِمام الصَّادق عليه السلام وقد قيل له : ((**إِنَّا ندعو الله ولا نرى الإِجابة ، وننفق ولا نرى خلفاً ، قال**عليه السلام **: افترى الله أَخلف وعده ؟ قال الرَّاوي : فقلت له : لا ، قال** عليه السلام **:**

---

(١) الإخلاص : ١.

(٢) الفقيه ، ١ : ٣٢٤/ ح٩٤٩ . التهذيب ، ١ : ١٠٨/ ح٤١٠ . معاني الأخبار ، ١٣٩ : ح١ .

(٣) الأحقاف : ٣٠.

(٤) النساء : ٤٤.

(٥) البقرة : ١١٥.

(٦) مصباح المتهجد ، ٢٣٧.

مَنْ أَطاع الله فيما أَمره ثُمَّ دعاه من جهة الدُّعاء اجابه ، قلت : وما جهة الدُّعاء؟ قال عليه السلام **: تبدأ وتحمد الله تعالى منها ، فهذه جهة الدُّعاء...))** [١] .

ومن صفات المعصوم عليه السلام : **أَنَّه وجه الله ؛ لأَنَّه الوسيلة الَّتي يُتَّجه بها** إِليه سبحانه، نظير قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ، فيرى من خلفه كما يرى من أمامه ، كالوردة ، فكلُّها وجه ، ونظير النَّار فكلُّها وجه.

٢٣ـ الحُجَّة ، قال تعالى : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٢] .

٢٤ـ العلامة ، قال تعالى : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [٣] ، وعن الإمام الباقر عليه السلام : **((...موصوفٌ بالآيات ، معروف بالعلامات...))** [٤] .

٢٥ـ الحقُّ ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [٥] .

٢٦ـ الإِيجاد ، عن أَمير المؤمنين عليه السلام : **((إِلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ، ولاطمعاً في ثوابك ، ولكن وجدتك أَهل للعبادة فعبدتك))** [٦] .

---

(١) مصباح الكفعمي : ٧٧٠ .

(٢) الأنعام : ١٤٩.

(٣) النحل : ١٦.

(٤) أُصول الكافي ، ١/ كتاب التَّوحيد / ٣١ـ باب إِبطال الرُّؤية/ ٦٩ / ح٥ .

(٥) الأنفال : ٣٢.

(٦) نهج البلاغة لابن ميثم ، ٥ : ٣٦١ . عوالي اللآلي ، ١ : ٤٠٤/ ح٦٣ ، و ج٢ : ١١/ ح١٨ . نهج الحق : ٢٤٨. بحار الأنوار ، ٤١ : ١٤/ ح٤.

٢٧ـ الحكاية ، عن الإِمام الصَّادق عليه السلام ـ في توحيد المفضَّل ـ : ((...**تأمَّل يا مفضَّل خلق الورق ... واعرف مع ذلك العلَّة في تلك العروق الدقاق ، فإِنَّها جعلت تتخلَّل الورقة بأسرها ؛ لتسقيها وتوصل الماء إليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن ؛ لتوصل الغذاء إِلى كُلِّ جزءٍ منها ، وفي الغلاظ منها معنى آخر ؛ فإِنَّها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها ؛ لئلَّا تنتهك وتتمزَّق ، فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصَّنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها ؛ لتتماسك فلا تضطرب ، فالصِّناعة تحكي الخلقة وإِن كانت لا تدركها على الحقيقة**))[١] .

٢٨ـ الرَّقيقة.

الفائدة : (٥)

مُميِّزات قوالب الوحي

لقوالب الوحي مُـميِّزات :

منها : أَنَّ أَلفاظه مرآة مهولة ، لا تنفد معانيها وحقائقها ، ولا تنتهي ولا تتناهى ، بخلاف أَلفاظ البشر وإِن كانوا علماء ونوابغ.

ومنها : أَنَّها تعصم من الزيغ ؛ فلا يحصل من خلال الإِبحار في معاني منظومة أَلفاظ الوحي إضلال ولا ضلال ، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَى﴾ [١] ، وأحد معانيه : الالتزام بعبائر ألفاظ الوحي ، والإبحار في معانيه بسفينة ألفاظه ، فيكون اللفظ قالباً وميزاناً لإستكشاف المعاني .

ومنها : أنّها لا تدع مجالاً للنقض على المُستمسك بميزان ألفاظ الوحي بعد استعصامه بها ، فإنّه يكون في حصنٍ حصين من المشكّكين والمعترضين ، قال تعالى : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [٢] .

ومنها : أنّ العقيدة الحقّة درجات ، قال تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [٣] ، ومقتضاه دالٌّ على أنّ الإيمان درجات ، وكلُّ درجة منه تنفي طبقة ودرجة من الشرك والكفر ، فكما أنّ الكفر درجات فالإيمان أيضاً درجات ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [٤] ، وقال عزّ من قائل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [٥] ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام : ((**أوّل الدّين معرفته ، وكمال معرفته التّصديق به ، وكمال التّصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه**)) [٦] .

---

(١) طه : ١٢٣.

(٢) الأنعام : ١٤٩.

(٣) يوسف : ١٠٦.

(٤) الفتح : ٤.

(٥) آل عمرن : ٩٠.

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة الأُولى.

والتمسُّك بقوالب أَلفاظ الوحي في بحور المعاني يعصم شيئاً فشيئاً عن الانحراف ، وهذا أَحد معاني كونهم : ((**سفن النجاة**))[١] ، و((**هم سبيل النجاة**))[٢] وأَحد معاني التمسُّك بالثقلين.

الفائدة : (٦)

لا تقييد في المعارف

لا يوجد في باب المعارف تقييد أَو تخصيص بمنفصل ؛ وإِنَّما مجمل ومفصَّل.

نعم ، قد يكون العموم والخصوص نسبيّاً (تخصُّصاً) ، كما في قوله صلى الله عليه وآله : ((**ضربة علي يوم الخندق أَفضل من عبادة الثقلين**))[٣] أي : ما عدا عبادته صلى الله عليه وآله.

وقوله صلى الله عليه وآله : ((**ما أَقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أَصدق من أبي ذر**))[٤] أي: ما عدا بني هاشم .

ومن ثَمَّ وجوه الجمع بين الأَدلَّة المتعارضة أَو الدِّلالات المُتعارضة في باب المعارف تختلف عن وجوه الجمع في باب فقه الفروع.

---

(١) الإِحتجاج ، ١ : ٩٥ .

(٢) بحار الأنوار ، ٢٦ : ٢٥١ . دلائل الإمامة للطبري : ٢٤ .

(٣) إحقاق الحقّ ، ١ / ٤ / ح١٦ . بحار الأَنوار ، ٣٩/ باب ٧٠/ ٢/ ح١.

(٤) الأَمالي ، الشيخ الطوسي ، ٥٢٠ : ح٣٩ـ ٧٠ . تفسير فرات الكوفي : ١٥٥ . بحار الأنوار ، ٣٥ : ٣٢٣ .

الفائدة : (٧)

مُصطلح النُّور

إِنَّ مصطلح (النُّور) في أَبواب المعارف يُطلق ويراد منه :

تارة : عالم الأَسماء ، وليست فيه رائحة الرُّوح والجسمانيَّة والجسم اللَّطيف الَّذي يُدرِكه العقل.

وأُخرى : الموجودات الكاملة وإِن كانت روحيَّة ، ولكن لشدِّة تلطُّفها تراها الموجودات والأَرواح النَّازلة أَنَّها مُجرَّدة تجرُّداً تامّاً.

وينبغي الإِلتفات : أَنَّ للرُّوح حركةً ، وهي شيءٌ مهولٌ.

وروحُ المؤمِن أَسرع عُروجاً ونزولاً من عروج ونزول الملائكة.

وفاصل التَّفاوت بين الأَرواح بعضها مع الآخر ، بل بين طبقات الرُّوح الواحدة بالغ الإِختلاف ، فمثلاً : الفاصل بين روح القدس وجبرائيل عليهما السلام شيء مهول.

الفائدة : (٨)

الفارق بين (المَـثَـل) و (المِثْل)

ينبغي الإِلتفات : أَنَّ هناك فوارقاً بين (الـمَـثَل) و (الـمِـثْل) ، حاصلها:

١ـ إِنَّ الأَوَّل يُجمع على أَمثال ، بخلاف الثَّاني فإِنَّه يُجمع على أَمثلة.

٢ـ إِنَّ الأَوَّل آية ، وهو لا يشترك مع ذي الآية في الماهيَّة والهويَّة ، أَمَّا الثَّاني فهو المجانس والنِّد.

٣ـ إِنَّ الأَوَّل يحكي زاويةً من زوايا ذي الآية ، وتغيبُ عنه زوايا ، أَمَّا الثَّاني فيحكي جميع الزَّوايا.

الفائدة : (٩)

مصطلح : (الواحد) و (الثاني) و (الآخر)

هناك مصطلحات ثلاث ، تُذكر في أَبواب المعارف ، ينبغي الإِلتفات إليها :

أَحدها : الواحد ، والمراد منه : ليس العددي أَو المقداري ، بل ما لا ثاني له ، ويكون الأَصل والحقيقة لكُلِّ شيءٍ.

ثانيها : الثَّاني ، والمراد منه : كذلك ليس العددي أَو المقداري ، بل الكثرة ، اثنين فما فوق.

ثالثها : الآخر ، في مقابل الأَوَّل ، والمراد منه : أَيضاً ليس العددي أَو المقداري ، بل غاية الكمالات.

الفائدة : (١٠)

مصطلح التَّواتر (عند الفريقين) و (بين الفريقين)

الفرق بين مصطلح التَّواتر (عند الفريقين) و (بين الفريقين) :

إِنَّ الأَوَّل : يراد به تحقُّق التَّواتر عند كلٍّ من الخاصَّة والعامَّة ؛ على انفراد كُلّ واحدٍ منهما عن الآخر.

وأَمَّا الثَّاني : فيراد به تحقُّقه عند مجموع كليهما.

الفائدة : (١١)

القراءة القدريَّة

من أَخطر القراءات على الدِّين القراءة القدريَّة ، وقد ورد في ذمها الكثير من روايات أهل البيت عليهم السلام [١] .

الفائدة : (١٢)

إشتقاق لفظ الجبت

لا يبعد : أَنَّ لفظ الجبت مشتق من الجب ، وهو القطع ، فيكون معناه : القاطع للطريق.

وهذا المعنى في الجهة المقابلة لمعنى الآية ، فإِنَّها الطَّريق العاصم عن التَّشبيه والإِكتناه.

والطَّريق المُنجي الحصري للإِنسان من التَّشبيه والتَّعطيل هو الآية والوسيلة ، وهي الطَّريق الحصري للتَّوحيد.

الفائدة : (١٣)

أحد مناشئ النفاق

من مناشئ النِّفاق : حصول خواء في دين الشخص ، وهو معنى مقارب لمادة النِّفاق.

---

(١) راجع : الكافي ، ١ : ٢٣٤ . الوسائل ، ٦ / الباب : ١٢ من أبواب السجود / ٣٦٢ / ح٧ و ج٢٨ / الباب : ٦ من أبواب حدِّ المرتد/ ٣٣٦ / ح٤ . وغير ذلك.

الفائدة : (١٤)

معنى كلمة (حتَّى)

المراد من كلمة (حتَّى) في باب المعارف ليست النهاية ، بل الوصول والاستمرار ،كما قيل ذلك في قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (١) ، فإِنَّ هذا المعنى يتمُّ وإِن فُسِّر اليقين بالموت.

الفائدة : (١٥)

اللُّغة العبريَّة والسريانيَّة

إِنَّ التَّعاطي والتَّعرُّف على اللُّغة العبريَّة والسريانيَّة أَمر مهمٌّ في باب التَّوحيد ؛ لنزول الوحي بهما ، وهما ختن اللُّغة العربيَّة ومن شجرتها ، إلَّا أَنَّ العربيَّة أقوى.

ثُمَّ إنَّ الثَّابت علمياً في الآونة الأَخيرة : أنَّ أَقوى اللُّغات العلميَّة هي العربيَّة وأَضعفها الانكليزيَّة.

الفائدة : (١٦)

وصف الأنوثة والرِّجولة

إِنَّ المراد من الأنوثة في أَصل اللُّغة وصف ، ومعناه : النَّقص ، قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ (٢) .

والمراد من الرِّجولة أَيضاً : كمال الإِستقامة ، فيشمل النساء أَيضاً ، ومن ثَمَّ ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ

---

(١) الحجر : ٩٩.

(٢) النساء : ١١٧.

الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [(١)] : أَنَّه نزل في حقِّ فاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً [(٢)].

الفائدة : (١٧)

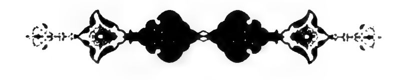
التَّعبير السابق عن الماهيّة

إِنَّ الاستعمالات اللَّفظيَّة القديمة لا تُعبِّر عن الماهيَّة بلفظها ، وإِنَّما بلفظ المائيَّة ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [(٣)] فإِنَّ أَصل مادة الماء : موه ، أي : العلم بالأشياء.

الفائدة : (١٨)

المُنبِّه والمُؤيِّد

المراد من المنبِّه والمؤيِّد : الشيء الَّذي يقوم بالتَّنبيه على برهان تام في دليل غيره ، لا في نفس المنبِّه ، كما يُقرَّر : أَنَّ الرُّؤيا للرائي غير المعصوم في المنام ليست بحُجَّة وإِن كانت صادقة فضلاً عن غيرها ، وإِنَّما قيمة الرُّؤيَا الصَّادقة : أَنَّها منبِّه على برهان في الكتاب الكريم أَو السُّنَّة الشَّريفة أَو العقل أَو الوجدان.



---

(١) النور : ٣٧.

(٢) فلاحظ : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة الكوفي : ١٩٩ ، ح ٢٠٣ . مناقب آل أبي طالب ، ٢/ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، سورة النور ، آية : ٣٥/ ١٤٦ / ح٣٥٩.

(٣) هود : ٧.

الباب الثَّاني

قواعد في أُصول الحُجِّيَّة والمعرفة العقائديَّة

قواعد نظميَّة في المعرفة

وفيه : ثلاث وعشرون فائدة

الفائدة : (١ / ١٩)

وسطيَّة التَّوحيد في المعارف الحقَّة بين شطط طرفين

إِنَّ الثَّابت في بيانات الوحي ـ منها : ما ورد عن أَبي عبد الله عليه السلام : **((...فانف عن الله تعالى البُطلان والتَّشبيه ، فلا نفي ولا تشبيه ، هو اللهُ الثَّابت الموجود تعالى اللهُ عَمَّا يصفُهُ الواصفون ، ولا تعدوا القرآن فتضِلُّوا بعد البيان))**[1] ـ : أَنه : لا تشبيه ولا تعطيل إِنَّما تثبيت وتوحيد ، فإذا أَثبتَّ وحَدَتَ وإذا وحَدَتَ أَثبتَّ.

(١) أُصول الكافي ، ١/ كتاب التَّوحيد/ ٣٢ـ باب النَّهي عن الصِّفَةِ بغير ما وصف به نفسه تعالى/ ٧٠/ ح١.

وكذا : لا غلو ولا تقصير إِنَّما تسليم بسرهم وعلانيتهم ، وبظاهرهم وباطنهم ، وهذا أَمرٌ قد استفيضت به بياناتُ الرُّوايات ، منها : ما أخذه سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله من عهدٍ على عمِّه حمزة عليه السلام في التَّسليم لأَهل البيت عليهم السلام [(١)] .

وأَيضاً : لا جبرة ولا تفويض إِنَّما أَمر بين أَمرين [(٢)] .

الفائدة : (٢ / ٢٠)

براهين المعرفة

ذكر الشيخ المظفر قدس سره في باب الصِّناعات : أَنَّها خمسة ، إِلَّا أَنَّه في بيانات الوحي ذُكر أكثر من ذلك بكثير ، منها:

١ـ البرهان [(٣)] .

٢ـ الخطابة.

٣ـ المواعظ [(٤)] .

٤ـ الجدل.

٥ـ المغالطة.

---

(١) لاحظ : كتاب الطرف ، السيد ابن طاووس : ٨ . بحار الأَنوار ، ٢٢ : ٢٧٩ .

(٢) أُنظر: أُصول الكافي ، ١/ كتاب التَّوحيد/ ٥٢ ـ باب الجَبْرِ والقَدَرِ والأَمر بين الأَمرين/ ١٠٨/ ح١٣.

(٣) البرهان على وزن فعلان ، من بره ، أي : نوع من التشعشع واللَّمعان ، ففي البداية كانت الحقيقة مستورة كشفها لك البرهان كالشعاع.

(٤) المناطقة دمجوها في الخطابة ، والمناسب الفرز.

٦ـ الشـعـر.

٧ـ الأمـثـال.

٨ـ القصص.

٩ـ الحِكْم.

١٠ـ الزجر.

١١ـ الطلب.

١٢ـ السنن.

١٣ـ الآداب .

١٤ـ الأحكام ، أَي : لغة القانون.

١٥ـ التأريخ .

وغيرها الكثير ؛ فإِنَّ كلَّ لغة علميَّة ، بل وجميع قوى النفس براهين للمعرفة.

وغالب البشر ينجذب إلى لغة من هذه اللُّغات ، ولهذا استخدمها الوحي لإيصال الحقائق.

ومن ثَمَّ تنوعت الـمعجزة بتنوع البراهين : كمعجزة القرآن الكريم في البلاغة وفي كلِّ العلوم ، ومعجزة النبي عيسى عليه السلام في الطب ، ومعجزة النبي موسى عليه السلام في فن الرُّوح في مقابل فن السحر ، وخطاب النبي داود عليه السلام

وحكمه، ومعجزة النبي سليمان عليه السلام في الفنون ، ومعجزة النبي صالح عليه السلام في خروج الناقة في مقابل فنون قومه ، وغير ذلك من معاجز الأنبياء عليهم السلام الَّتي تنوعت.

وهذا البحث : مُؤثِّر على مسيرة المعرفة ونظريتها ؛ ولذا ترى أَنَّ أَوَّل مَنْ آمن ببرهان معجزة النبي موسى عليه السلام هم السحرة لا حكماء بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[1] ، وورد في الدُّعاء : ((**وأَسألك باسمك الَّذي صرفت قلوب السَّحَرَة إليك ، حتَّى قالوا آمنا بربِّ العالمين...**))[2] .

وأَكثر نوابغ الفيزياء صاروا في أُخريات حياتهم موحِّدين ومتنسِّكين ، بعد أَنْ أَدركوا لمعان قدرة الغيب في مجال النظم المادي الحسي الفيزياوي ، وهذا إِن دلّ على شيء فهو يدلُّ على أَنَّ برهان المعرفة يمكن أَنْ يُدرك بعلمٍ ماديٍّ حسيٍّ.

---

(١) الشعراء : ٤١ـ٤٨.

(٢) مصباح الكفعمي : ٣٩٦ .

الفائدة : (٣ / ٢١)

ترقي القواعد المعرفيَّة

القواعد المعرفيَّة دائماً عندما تترقَّى تطبيقاتها تصعب ويحار العقل بها.

الفائدة : (٤ / ٢٢)

نفي الحلول والوحدة الشَّخصيَّة بين الموجودات

إِنّ الله خِلو من خلقه وخلقه خلو منه.

وهذا البيان العقلي متواتر أَو مستفيض في روايات أَهل البيت عليهم السلام [١].

الفائدة : (٥ / ٢٣)

هيمنة المُتقدِّم رتبة

إِنَّ كلَّ مقام مُتقدِّم فهو مهيمن على المقام المتأخر ، ومقتضى الهيمنة علو كمالاته.

الفائدة : (٦ / ٢٤)

غائيَّة العالي للسَّافل

قاعدة معرفيَّة : (لا يخلق الموجود السَّافل لأَجل السَّافل ، بل لأَجل الموجود العالي).

---

(١) فلاحظ : أُصول الكافي ، ١ / كتاب التَّوحيد / ٢٤ ـ باب إِطلاق القول بأَنَّه شيء / ٥٩/ ح٣ ، ٤ ، ٥ وغيرها.

وهذا أَحد معاني خلوص وإخلاص السَّافل للعالي ؛ لأَنَّ كمال السَّافل إِنّما هو في توجهه للعالي ، لا في تمحوره حول ذاته.

الفائدة : (٧ / ٢٥)

قاعدة معرفيَّة

إِنَّ الخير الأكثري لا يُترك بالشَّر الأَقلي.

الفائدة : (٨ / ٢٦)

الفضائل وأضدادها على درجات

إِنَّ الإِخلاص والفضائل على درجات ، وكذا البحث فيما يضادها من الرَّذائل ودرجة التَّضاد ، كالعدالة والفسق ، والصِّدق والكذب ، فإِنَّها على درجات.

وليس معنى التَّفاوت في الدَّرجات أَنَّ الدَّرجة النَّازلة يشوبها إِختلاط الضِّد ، فالعدالة بمرتبتها النَّازلة ليس معناها مختلط بشوب من الفسق ، بل هي عدالة بأَدنى حدودها.

نعم ، الصِّفات الإِلهيَّة كعدالة الباري سبحانه غير محدودة وأزليَّة.

الفائدة : (٩ / ٢٧)

قاعدة اللُّطف

المراد من قاعدة اللُّطف في علم الكلام ـ المعبَّر عنها فلسفيّاً بقاعدة العناية ـ : أَنَّ النظام الأَتم الربوبي الأَسمائي وفي مقام صفات الذَّات هو الأَكمل والأَجمل والأبهى والأَنور والأَقدر ، تنعكس آياته في النظام الأَكمل

الأَتم الخلقي ، وبالتالي لا محالة من وجود نظام وسنن وانضباط في عالم الخلقة.

وهذا ردٌّ على الأشاعرة وبعض العرفاء القائلين بعدم وجود الحسن والقبح الذَّاتي ؛ إذ لازمه حصول التَّماهي والعبثية في عالم الخلقة ، وهو يجرُّ إلى النَّقص والتركيب والعبثية في عالم الذات (تعالى عن ذلك علواً كبيراً).

إذنْ : عالم الخلقة لـمَّا كان منقهراً للعالم الربوبي فلا بُدَّ أن يكون ذا نظام وسنن وانضباط ، فقاعدة العلَّة والمعلول ـ مثلاً ـ هي انعكاس لذلك العالم ، قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [1] .

الفائدة : (١٠ / ٢٨)

الأحـــدثـــيَّـــة

المراد بالأَحدثيَّة التي وردت كأَحد المرجِّحات في باب التَّعارض أحد معاني :

أَحدها : أَنَّ الإِمام اللَّاحق لديه عصارة ما لدى الأَئمة السابقين عليهم السلام .

ثانيها : أَنَّ كلَّ إِمامٍ لاحق يفتح المطالب المعرفيَّة السابقة بشكل أكبر.

إذنْ : مطالب الإمام اللَّاحق عصارة السابقين ، وبيانه أكثر تفصيلاً ممن قد سبقه .

ثالثها : أَنَّ كلَّ إِمام هو الَّذي يعيِّن وظيفة شيعة عصره.

(١) المؤمنون : ١١٥ .

وهذا المعنى يتلائم مع المعنيين السابقين كما لا يخفى ، بل ناشئ منهما.

الفائدة : (١١ / ٢٩)

الخلط بين أحكام الذِّهن والعين الخارجيَّة

من أَخطر المخاطر بصحَّة وسداد المعرفة في العلوم العقليَّة الخلط بين أَحكام الذِّهن والعين الخارجيَّة.

الفائدة : (١٢ / ٣٠)

حدود عالم الإمكان

توجد فتوى عند علماء المعقول ، حاصلها : إِنَّ غاية وأقصى الحدود الإمكانيَّة للمخلوق هي الحدود العقليَّة ، فإذا أُزيلت لا يكون مخلوقاً.

لكن ، بيانات الوحي تثبت : أَنَّ الحدود الإمكانيَّة فوق ذلك ، ونبَّه عليه الأَئمةعليهم السلام بكثرة الأسماء ، كما جاء ذلك في بيان الإِمام الجواد لأَبي هاشم الجعفري ، قال : **((كُنْتُ عند أَبي جعفر الثاني عليه السلام فسأَله رجل فقال : أَخبرني عن الرَّبِّ تبارك وتعالى له أَسماءٌ وصفاتٌ في كتابه ؟ وأَسماؤه وصفاتُهُ هي هو؟ فقال أَبو جعفر عليه السلام : إِنَّ لهذا الكلام وجهين ، إِن كُنتَ تقول : هي هو أَي إِنَّه ذو عددٍ وكثرةٍ ، فتعالى الله عن ذلك...))** [١].

فجلَّت الأَسماء الإلهيَّة أَن تكون لها حدود عقليَّة رغم أَنَّها ـ الأسماء الإلهيَّة ـ مخلوقة.

---

(١) أصول الكافي ، ١/ كتاب التوحيد/ ٣٨ ـ باب معاني الأَسماء واشتقاقها / ٨١ / ح٧.

وبالجملة : عالم الإمكان : تارة يكون مُجرَّداً عن الجسم والمادة وإِن كانت عقليَّة ، وأخرى لايكون مُجرَّداً عنهما ، وأَمَّا عن الحدوث فلا يتجرَّد عنه أَبداً.

الفائدة : (١٣ / ٣١)

البحث عن صحّة المنهج

إِنَّ البحث عن صحَّة المنهج أعظم فائدة وأَهميَّة من نفس البحث عن التَّطبيقات ، فالأهمُّ من علم الرِّجال ـ مثلاً ـ منهجه.

فلو لاحظنا علم التَّأريخ ـ مثلاً ـ لوجدناه يحتوي على مناهج جمَّة في قراءة التَّاريخ ، ينبغي ملاحظتها :

منها : المنهج العسكري.

ومنها : المنهج الأمني.

ومنها : المنهج الاجتماعي ، وهكذا.

ولا بُدَّ من معرفة خاصيَّة كلِّ واحدٍ منها.

وكما أَنَّ للمدارس والعلوم مناهج كذلك للدِّين مناهج.

منها : قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) ، فإِنَّ الطَّاهر التَّقي النَّقي يختلف في إِدراكاته عن غيره ، قال تقدَّس ذكره : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (٢) .

ومنها : قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (٣) .

---

(١) البقرة : ٢.

(٢) الجمعة : ٢.

(٣) البقرة : ٣.

ومنها : قوله صلى الله عليه وآله : **((حُبُّك للشَّيء يُعْمِي ويُصِمُّ))** [١] .

ومنها : قوله عليه السلام : **((بغض الشيء يعمي ويصم))** [٢] .

ومنها : ما ورد من كراهة قضاء القاضي حالة الغضب [٣] ، بل أَفتى الفقهاء بكراهة كلِّ وصف يساوي الغضب في شغل النفس ، كمدافعة الأَخبثين [٤] .

بل ، في منهج أَهل البيت عليهم السلام : أَنَّ كُلَّ قوى الإنسان لها صحَّة وسقم ، وصحَّتها تؤثِّر على بقيَّة القوى ، وسقمها كذلك ، فالتَّقوى والنَّزاهة والشجاعة والجبن وما شاكلها تؤثِّر على نفسيَّة الإنسان وقواه الإِدراكيَّة.

وهذا المنهج المتكامل حيث أَصبح عرفاً سائداً في أَتباع أَهل البيت عليهم السلام صعب على الأَعداء اختراقهم ؛ ولذا اعترف الغرب :أَنَّ صعوبة اختراق الحوزات العلميَّة يكمن في هذه الأَعراف.

إذنْ : مجموع قوى الإنسان ، بل حتى سلوكيَّاته الأخلاقية تؤثِّر في إرادته وصوابية قراره ، ومن ثَمَّ ورد بيان قوله تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [٥] ، فإِنَّ العلم طعام الرُّوح ، أنظر من أين تستقيه ، والدِّين لا ينهى عن استماع مطلق القول ، لكنَّه ينهى عن اتِّباعه ، بل يخصُّ اتِّباع أَحسن

---

(١) الفقيه ، ٤ : ٣٨٠/ ح٥٨١٤ . روضة المتقين ، ١٣ : ٢١ . كتاب التاج ، ٨٤ : ٥ . بحار الأَنوار ، ٧٤ : ١٦٥ .

(٢) ابن أبي الحديد ، ١٨ / ٣٩٢ . عوالي اللآلي ، ١ / ١٢٤ / الفصل ٧ .

(٣) الوسائل ، ١٨ / كتاب القضاء / الباب : ٢ من أَبواب آداب القاضي / ١٥٦ / ح١ .

(٤) فلاحظ : جواهر الكلام ، ٤٠ : ٨١ .

(٥) عبس : ٢٤.

القول ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (١) ،
وقال تقدَّس ذكره : ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (٢) .

الفائدة : (١٤ / ٣٢)

الأشياء لا تستوي في الكيل والمعيار

إِنَّ الأَشياء في منطق القرآن الكريم لا تستوي في نتيجة الكيل والمعيار ، حتى الباطل والشر ، فإِنَّ له دركات وطبقات ، فهناك باطل وهناك أكثر بطلاناً وهكذا، فلهذا نجده يفرِّق بين المشرك والصابئي من جهة والملحد والدهريِّ والسفسطي من جهة أُخرى ، فالأول له معرفة وتصديق بالله ، لكنَّه سقط في المرتبة الثالثة من المراتب الخمس الَّتي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : ((**أَوَّلُ الدِّين معرفته ، وكمالُ معرفَتِه التَّصديقُ به، وكمال التَّصديق به توحيدُهُ ، وكمالُ توحيده الإخلاصُ له ، وكمال الإخلاص له نفي الصِّفاتِ عنه**)) (٣) ، وهذا بخلاف البقيَّة ؛ فإِنَّهم سقطوا في المرتبة الأُولى.

---

(١) الزمر : ١٨.

(٢) آل عمران : ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة الأولى .

الفائدة : (١٥ / ٣٣)

التَّعمُّق المذموم

إنَّ التَّعمُّق المذموم الوارد في الرُّوايات هو التَّشاغل بالتَّفاصيل وتراميها المُتفرِّعة تشعباً عن الأُصول المحوريَّة ؛ فيشتغل بالسَّوافل ويضيِّع المعالي والأُسس ؛ فتضيع لديه خريطة الواقع والإحاطة به.

وهذا داءٌ وضياع يصاب به فكر الإنسان ، ويُعبَّر عنه بـ : ((التَّضخُّم المضرِّ بالعلم)) ، ومن ثَمَّ ورد عن أَبي عبد الله عليه السلام : **((إنَّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّ معالي الأمور ويكره سفاسفها))** (١) .

وهذا الدَّاء أُبتلي به منهج الخوارج ، ولهذه النكتة سمّي الوهابيَّة : خوارج العصر ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (٢) ، فإِنَّ النِّسْبَة بين المُحكم والمُتشابه : أَنَّ المُحكم : أَساس وأُم وأَصل ، بينما المتشابه : ترامي في التَّفريعات المُنشعبة ، ممّا يولِّد التباس وتشابه في الطَّريق الموصل من هذه التَّشعبات إلى الأُم.

---

(١) وسائل الشيعة ، ١٧ / الباب ٢٥ ـ استحباب مباشرة كبار الأُمور كشراء العقار والرقيق والإبل والإستنابة فيما سواها ، واختيار معالي الأمور وترك حقيرها / ٧٣ / ح٣. بحار الأنوار ، ٤٧ : ٣٢٣ .

(٢) آل عمران : ٧.

الفائدة : (١٦ / ٣٤)

الأصل في النَّسَبِ وعموم الرَّجعة للعوالم

إِنَّ ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام : ((**إِنَّ الله عزّ وجلّ لَـمَّـا عرج بنبيه صلى الله عليه وآله إلى سماواته السبع ... أَوحى الله عزّ وجلّ إليه اقرء يا محمَّد نسبة ربك تبارك وتعالى** : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[١] ... **ثُمَّ أَوحى الله عزّ وجلّ إليه اقرء** ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾[٢] **فإِنَّها نسبتك ونسبة أَهل بيتك إلى يوم القيامة...**))[٣] بيان على أَنَّ الأصل في نسب النبي صلى الله عليه وآله وأَهل بيته عليهم السلام ليست أبدانهم الشريفة ، بل أَنوارهم ، وهذا مطابق للُّغة العقليَّة : (أَنَّ حقيقة الشيء غايته وليست مادته) ، فمادة الأشياء وصورها وأجناسها وفصولها بدايات للمعرفة ، ولا توصل إلى كنه الأشياء. وهذه الضَّابطة متَّفق عليها عند المدارس العقليَّة المختلفة.

وعليه : تكون معرفة أَمير المؤمنين عليه السلام من خلال ولادته وبدنه الشريـف ؛ معرفة ظاهريَّة ، وفي الحديث : ((**أَنَّ أَبا طالب نور اشتق من نورنا**))[٤] ، ففي عالم النُّور أَمير المؤمنين أَب لوالده عليهما السلام ، وكذا رسول الله صلى الله عليه وآله أَب لوالده وآبائه الكرام.

---

(١) الإخلاص : ١ـ ٤.

(٢) القدر : ١.

(٣) الكافي ، ٣/ باب الصلاة في طلب الرزق/ النوادر/ ٤٨٢/ ح٥٧١٢ـ١ .

(٤) أُصول الكافي ، ١ : ٤٤٧ .

إِذنْ : الأصل في الأبوة والبنوَّة ليس التوليد والتوالد البدني الأَرضي ؛ وإِنَّما الاشتقاق ومراتب الهيمنة والمهيمن عليه ، فعالم النُّور هو الأصل أُبوة وولادة.

وكذا حال التآخي ، روي في الفقيه : عن الإِمام الصادق عليه السلام : **((انَّ الله تبارك وتعالى آخى بين الأَرواح في الأَظِلَّة قبل أَن يخلق الأجساد بألفي عام ، فلو قد قام قائمنا أَهل البيت ورَّث الأخ الَّذي آخى بينهما في الأَظِلَّة ، ولم يورّث الأَخ في الولادة))** [(١)] ، فالأَحوال الشخصيَّة والتَّوارث بعد إقامة دولة العدل الإلهي تكون بحسب عالم النُّور ، ومن ثَمَّ ورد عن أَمير المؤمنين عليه السلام : **((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف))** [(٢)] .

وبالجملة : إِنَّ الأصل في الإنسان نشأته النُّورية ، ولذا ورد في بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : **((فليصدق رائد أَهله ، وليحضر عقله ، وليكن من أبناء الآخرة** [(٣)] **، فإِنَّه منها قدم وإليها ينقلب))** [(٤)] . وورد عنه عليه السلام أَيضاً : **((رحم الله امرءاً عرف من أين وفي أَين وإلى أين))** [(٥)] .

---

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه ، ٤ / كتاب الإرث / باب النوادر/ ٣٥٢/ ح٥٧٦١ . بحار الأَنوار ، ٦ : ٢٤٩/ ح٨٧.

(٢) بحار الأنوار ، ٢ : ٢٦٥ / ح١٨ . من لا يحضره الفقيه ، ٤/ باب النوادر/ ٣٨٠/ ح٥٨١٨ .

(٣) عوالم فوقانية.

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٥٢ . غرر الحكم ودرر الكلم ، ١/ ٢٣٤/ ٧٧٨٩ . بحار الأنوار ، ١ / ٢٠٩/ ح١١ .

(٥) نهج البلاغة ، الكلمات القصار.

وهذا المبحث مبني على القاعدة المعرفيَّة : ((أَنَّ الأرواح مخلوقة قبل الأَجساد)) ، وهو يغاير القول بالتَّناسخ في الأَبدان الأَرضيَّة ، والَّذي هو كفر بالدِّين والدِّيانات ، **وإن** توَهَّم الحكيم المُلَّا صدرا وأتباع مدرسة (الحكمة المتعالية) : أَنَّ القول بخلق الأَرواح قبل الأَبدان يستلزم القول بالتَّناسخ ، **لكنَّه مردود** بما ذكرناه : من أَنَّ القول بالتَّناسخ هو تبدُّل الهويَّة بالأَبدان الأَرضيَّة دور بعد دور أرضي وكور بعد كور.

ويُقرِّب تباين المقالتين ـ خلق الأَرواح قبل الأَجساد ومقالة التَّناسخ ـ ما يحصل في حالة النوم من انفصال الرُّوح عن الجسد ، ورجوعها إلى عالمها ثُمَّ عودها إلى بدنها الأَرضي من دون تبدُّل الهويَّة ، وهذا المفاد أَحد معاني الحديث االنبوي : **((كما تنامون تموتون ، وكما تستيقظون تبعثون))** [١].

ومنه يُعلم : أَنَّ الرَّجعة غير منحصرة في عالم الدُّنيا ، بل تتأتَّى في العوالم الأُخرى ، فإِنَّ قوله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [٢] بيان وبرهان دالٌّ على ذلك ؛ وإِنَّ الرَّجعة تتأتَّى في جميع العوالم التي يمرُّ بها الإنسان.

---

(١) روضة الواعظين : ٥٣ . الجامع لأحكام القرآن (القرطبي) ، ١٥ : ٢٦١ ، ذيل الآية : ٤٢ من سورة الزمر ، مع تفاوت يسير.

(٢) البقرة : ١٥٦.

الفائدة : (١٧ / ٣٥)

النَّسَب الاصطفائي

النَّسَبُ تارة يكون مادّياً (البدني والأرضي) ، وأُخرى معنويّاً (طينة الرُّوح) ، وليس من الضَّروري تطابقهما ، بل الغالب الإِختلاف ، والدِّين يؤكِّد على الثاني أَكثر من تأكيده على الأَوَّل ، وأَنَّ الأَحكام التَّكوينيَّة في العوالم اللَّاحقة ؛ بل وفي عالم الدُّنيا لا تترتَّب حصراً على خصوص النَّسَب البدني ، ومن ثَمَّ ورد عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله : **((أَنا وعليٌّ من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى))**[1] ، و**((فاطمة بضعة مني وأَنَّا منها))**[2] ، و**((فاطمة أُمّ أَبيها))**[3] ، و**((حسن مني وأَنا منه))**[4] ، و**((حسين مني وأَنا من حسين))**[5] .

وتعقُّل هذه النِّسْب وتقريبها متوقِّف على أَنَّ طبقات نورهم[6] عليهم السلام مُتعدِّدة إلى ما شاء الله ، وحينئذٍ يصحُّ أَن يقال : إِنَّ الطَّبقة النَّازلة من نور أحدهم عليهم السلام فضلاً عن الطَّبقات النَّازلة الرُّوحيَّة الأُخرى والبدنيَّة هي من

---

(١) دعاء الندبة .

(٢) بحار الأنوار ، ٤٣ : ٢٠٤ . علل الشرائع ، باب العلة التي من أجلها دفنت : ١٨٦ .

(٣) الإرشاد ، ١ : ٨٩ . إعلام الورى ، ١ : ٣٧٨ . المغازي ، ١ : ٢٤٩ .

(٤) بحار الأنوار ، ٤٣ : ٣٠٦ / ح٦٦ .

(٥) الجامع الصغير ، ١ : ١٤٨ . كنز العمال ، ٦ : ٢٢٣ . الأمالي ، الشريف المرتضى ، ١ : ٢١٩ .

(٦) من أراد الإطلاع على مصطلح (النُّور) فليراجع الفائدة : (٧) .

الطَّبقة الصَّاعدة من نور الآخر [١] ، والعكس كذلك ، وهناك نِسْب أُخرى قد تكون عرضيَّة أَيضاً ، فلذا ورد في أَحاديث مُتعدِّدة : ((**أَنَّ العرش خلق منهم**)) [٢] ، وورد في أحاديث أُخرى : ((**أَنَّهم خلقوا من العرش**)) [٣] وهذا وجه وتفسير وصف أَكبريَّة الثقلين : تارة للقرآن الكريم ، وأُخرى لأهل البيت عليهم السلام.

وهذا باب ينفتح منه أَلف باب في قواعد الوحي ، وكُلَّما تعرَّف وأَنس ذهن الإنسان ببيانات الوحي واصطلاحاته سهلت عليه المعاني الواردة في الوحي ، وانفتحت لديه آفاق منظومات معاني الوحي ، وقرب لديه تصوُّر وفهم جملة من الأُمور ، فلاحظ قول جبرائيل عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله في جملة مواطن : ((**وأنا منكما**)) [٤] في شأنه صلى الله عليه وآله وشأن أَخيه أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم يقل : وأَنتم مني ، بينما ورد في وصف أَمير المؤمنين عليه السلام : قول النبي صلى الله عليه وآله : ((**عليّ مني وأنا منه**)) [٥] ، وهو بيان لتَعدُّد طبقاتهما النوريَّة (صلوات الله عليهما وعلى آلهما).

---

(١) فالطبقات النَّازلة من ذات سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله هي متولِّدة ومشتقَّة من الطبقة الصاعدة من نور فاطمة الزهراء عليها السلام ، وعلى هذا فَقِسْ.

(٢) شرح الشمائل المحمديَّة ، ١ : ٤٩ . لوامع أَنوار الكوكب الدري ، ١ : ١٣ . الأَنوار في مولد النبي صلى الله عليه وآله لأبي الحسن البكري : ١٠ . الخصال ، ٢ : ٤٨٢ . معاني الأَخبار : ٣٠٦ . الهداية الكبرى ، الباب ٢ : ١٠٠ .

(٣) بصائر الدرجات ، ١ / الباب : ٩ و ١٠ / ٥٠ ـ ٦١ . البرهان في تفسير القرآن ، ١ : ٣٩٢/ ح٥ ، في تفسير الآية ٦٩ من سورة النساء . تفسير فرات : ١٦٦ . بحار الأنوار ، ٣٦ : ٧٣/ ح٢٣ . إحقاق الحق ، ٥ : ٢٥٠ .

(٤) بحار الأنوار ، ٣٩ : ٨٢ . مرآة العقول ، ٢٥ : ٢٦٧/ ح٩٠ .

(٥) بحار الأَنوار ، ٣٤ : ٣١٩/ ح٢٩ . أَمالي الطوسي ، ١٧٠ و ٢١٣ . مرآة العقول ، ٢ : ٣٤٢/ ح٣ .

ثُمَّ إِنَّ لعالم نَسَب الأرواح طبقات ومجموعات ، منها : عالم الأَظِلَّة ، وعالم الأشباح ، وعالم الذَّرِّ ، وعالم الميثاق ، و... .

ومن ثَمَّ ورد عند الفريقين: أَنَّ أرواح الأنبياء العالية خُلقت من ترشُّح نازل لأَحد طبقات نور سيد الأَنبياء ﷺ [١] ، كما وورد : أَنَّ نور جملة الملائكة خلق من طبقة نازلة من نور سيد الأَوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام [٢] .

وصعوبة شؤون طبقات ذواتهم أَحد تفسيرات ما ورد عنهم عليهم السلام : **((إِنَّ أَمرنا صعب مستصعب لا يقرّ به إِلَّا ملك مقرَّب أو نبي مرسل أَو عبد امتحن الله قلبه للإيمان))** [٣] .

الفائدة : (١٨ / ٣٦)

معرفة الأشياء

هناك قاعدة مهمَّة تُذكر في أَبواب المعارف ، حاصلها : (أَنَّ معرفة الأشياء بغاياتها وعللها ومناشئها ومآلاتها أَعرف لكُنهها وحقيقتها من معرفتها بأجناسها وفصولها وموادها وصورها ، وبحاضرها).

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢٢ / ح٣٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٥ : ١٠ / ح١١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٨٥ / ح٧ . مرآة العقول ، ٤ : ٣١٨/ ح٤ . مختصر بصائر الدرجات : ١٣٤ .

الفائدة : (١٩ / ٣٧)

عصمة البديهيَّات

أَجمع الكلُّ على أنَّ الإنسان في دائرة البديهيَّات معصوم ، لا في النَّظريَّات التَّنظِيريَّة.

الفائدة : (٢٠ / ٣٨)

لا اضطراد بين الجسم والإِحساس به

إِنَّ الجسم لا يساوي المحسوس ، مع أَنَّ من خواصَّه أَن يُحس ، لكن لا يُحسُّ بأَيِّ درجةٍ من قوى الحسِّ بالضَّرورة ؛ لأَنَّ الأَجسام والمواد الجسمانيَّة بينها من حيث الكثافة والغلظة إِختلاف ودرجات لا تحصى ، ومن ثَمَّ تختلف درجات قوَّة الإِحساس والحس فيما بينها.

الفائدة : (٢١ / ٣٩)

أخطاء الحس وتأثيراتها في المعرفة الإِلهيَّة

أُحصيت في علوم عديدة (٥٠٠) نوع خطأ في الحسِّ ، بل في الآونة الأخيرة قيل : (٨٠٠) نوع خطأ.

وكلُّ نوع له العديد من الأَمثلة.

وعليه : لابُدَّ للباحث من ضبط ومعرفة تفاوت قدرات الحسِّ ؛ وقواعد وضوابط ومراتب ودرجات شدَّة وضعف الحس ؛ كيما لا تشتبه عليه المباحث ويغترُّ بها ، ومن ثَمَّ ورد في دعاء السمات : ((... **وأسألك اللَّهُمَّ**

بمجدِك الَّذي كلَّمت به عبدَك ورسُولَك موسى بن عمران عليه السلام في المُقدَّسِين ، فوق إِحساس الكرُوبيِّيْنَ ، فوق غمائم النُّور ، فوق تابوت الشَّهادة ، في عمود النَّار ...)).

واشتباه الحسِّ قد نبَّهت عليه بيانات الوحي ، منها : ما ورد عن الإِمام الهادي عليه السلام : **((كتبت إِلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرُّؤيَة وما اختلف فيه النَّاس ، فكتب : لا تجوز الرُّؤيَة ، ما لم يكن بين الرَّائي والمَرئيِّ هواءٌ لم ينفُذه البصرُ ، فإِذا انقطع الهواء عن الرَّائي والمرئيِّ لم تصِحَّ الرُّؤيَة ؛ وكان في ذلك الاشتباه ، لأَنَّ الرَّائي متى ساوى المرئيَّ في السَّبب الموجب بينهما في الرُّؤيَة وجب الاشتباه ، وكان ذلك التَّشبيه ، لأَنَّ الأَسبَاب لابُدَّ من اتصالها بالمُسَبَّبَات))** [١] .

وكم من اشتباه معرفي ناتج من اشتباهات الحسِّ ، فحيث لا يُدرِك الحسُّ الضَّعيف كثيراً من الأُمور غير المرئيَّة لنا أَو المسموعة بتوسط حواسنا ؛ يُؤوِّل أَصحاب المعارف تلك الأُمور والأَشياء : بأَنَّها من عالم المُجرَّدات ، كما تأَوَّل الفلاسفة الملائكة : أَنَّهم عقول مُجرَّدة عن الجسم ، وإِنَّ العقل جوهر مُجرَّد عن الجسمانيَّة ، مع أَنَّه ورد في روايات أَهل البيت عليهم السلام ، كما جاء ذلك عن الإِمام الصادق عليه السلام : **((إِنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ العقلَ وهو أَوَّل خلقٍ من الرُّوحانيِّين))** [٢] .

وهذا البحث لو التفت إِليه الباحث وأتقنه لأَمكنه معرفة إِماتة ملك الموت عليه السلام للبشر ولسائر الحيوانات والنباتات ، وكذا الإِحياء من قِبَل إِسرافيل عليه السلام .

إِذنْ : اختلاف الحسِّ بحسب حالاته لا يُشخِّص الواقع بصورة دقيقة.

---

(١) أُصول الكافي ، ١ / كتاب التوحيد / ٣١ ـ باب في ابطال الرُّؤيَّة / ٦٨ / ح ٤.

(٢) أُصول الكافي ، ١ / كتاب العقل والجهل / ١٧ / ح ١٤.

الفائدة : (٢٢ / ٤٠)

دور الفقهاء

إنَّ دور الفقهاء في النيابة العامَّة كأَذرع لبنيان ما شيده أَهل البيت عليهم السلام يبقى مستمراً من زمن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة ؛ فإِنَّ قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١) حكمٌ شرعيٌّ في تدبير بنيان منظومة الدِّين ، وفريضة لهندسة البناء الإِداري من الله سبحانه ؛ لا يتخطاها سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله والأَئمة الأطهار عليهم السلام فضلاً عمَّا دونهم ، وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام : ((... **لأَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن ليُحرِّم ما أَحلَّ الله ، ولا ليُحلِّل ما حرَّم الله ، ولا ليُغيِّر فرائض الله وأحكامه ، كان في ذلك كلّه مُتَّبعاً مُسلِّماً مؤدِّياً عن الله ، وذلك قول الله** : ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (٢) ، **فكان عليه السلام مُتَّبعاً لله مؤدِّياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرِّسالة... لأَنَّا لا نرخِّص فيما لم يرخِّص فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا نأمر بخلاف ما أَمر به رسول الله صلى الله عليه وآله ... لأَنَّا تابعون لرسول الله صلى الله عليه وآله ، مُسلِّمون له كما كان رسول**

---

(١) التوبة : ١٢٢.

(٢) الأنعام : ٥٠.

الله ﷺ تابعاً لأمر ربِّه مُسلِّماً له ، وقال الله ﷻ : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[١] ...))[٢] .

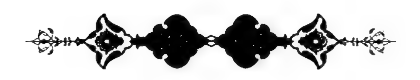
ومن ثَمَّ كان للفقهاء دورهم في الغيبة الصغرى في زمن النواب الأَربعة ، فلذا ورد : أَنَّ الشيخ الجليل سفير النَّاحية المُقدَّسة الحسين بن روح رحمه الله بعث برواياته المنقولة له عن الأَئمة السابقين عليهم السلام إلى فقهاء قم ، وصحَّحوا الجميع إلَّا واحدةً ، وهي : الدَّالَّة على أَنَّ زكاة الفطرة نصف صاع من طعام ، والموافق لضروريَّات المذهب أَنَّها صاع[٣] .

وقد انقطعت النيابة الخاصَّة بعد الغيبة الصغرى بضرورة المذهب ، لكنَّ النيابة العامَّة على حالها ، وهي مسؤوليَّة الفتوى والمرجعيَّة للفقهاء.

الفائدة : (٢٣ / ٤١)

الزَّمان والدَّهر والسَّرمد

إِنَّ الزَّمان : وعاءٌ للأَجسام ، والدَّهر : وعاءٌ للمُجرَّدات ، والسَّرمد والأَبد : وعاءٌ للأسماء الإلهيَّة ، لكنَّه لا بملاحظتها أَنَّها مخلوقة.



---

(١) الحشر : ٧.

(٢) الوسائل ، ج١٨ / الباب ٩ من أبواب صفات القاضي / ٨١/ ح٢١.

(٣) كتاب الغيبة للطوسي : ٢٤٠ .

الباب الثَّالث

الفوارق بين المدارس المعرفيَّة

وفيه : ثلاث فوائد

الفائدة : (١ / ٤٢)

المدرسة الوسطيَّة

لا توجد مدرسة وسطيَّة على وجه المعمورة غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

والتَّكفير في مدرستهم ليس معناه سفك الدِّماء وزلزلة التَّعايش المدني، بل التَّخطئة الفكريَّة والنَّصيحة والإشفاق والرَّحمة.

وفلسفة القوَّة الماديَّة وغيرها عندهم عليهم السلام تستخدم لردع المعتدي ، دون الإِعتداء على المسالم.

والأَسير لا يُقتل إذا وضعت الحرب أوزارها.

وعلى الخلاف من ذلك ذهبت المدارس الأُخرى.

الفائدة : (٢ / ٤٣)

إعراض الفلاسفة عن الوحي

إنَّ إعراض الفلاسفة عن بيانات وبراهين الوحي لا مبرِّر له إلَّا شيء واحد ، وهو: أَنَّ النقل عن الوحي تعبُّد ظنيٌّ ، ومن مقولة الانقياد المبهم.

لكنَّها غفلة وقعوا فيها ـ وكذا جملة من المُتكلِّمين والمفسِّرين والمُحدِّثين ـ ؛ فإنَّ أَوَّل مراتب حجيَّة النقل عن الوحي هي العلم ، فالدَّور الأَوَّل للعلم النقلي عن الوحي هو التَّسليم عن علم ودراية ، وقد ورد عن سيد الأَنبياء ﷺ : **((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتَّى النملة في جحرها وحتَّى الحوت في الماء يُصَلُّون على مُعلِّم النَّاس))** [١] ، فكلٌّ من العابد والعالم يُسلِّم بالوحي ، لكن العابد عن ظنٍّ وإبهام ، أَمَّا العالم فإنَّه عن علم وتفصيل.

وقوام علوم الدِّين بالفهم ، ومن ثَمَّ ورد عنهم عليهم السلام : **((حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه))** [٢] ، فإنَّ ألفاظ الوحي وإن كانت مُقدَّسة ، لكن قداسة التَّدبُّر في بحور المعاني أعظم ، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [٣] ، وقال سبحانه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ

---

(١) كنز العمال، ١٠ / ١٤٥ / ح ٢٨٧٤٠ .

(٢) بحار الأنوار، ٢ : ١٨٤ . معاني الأَخبار، ٢ : ١٤ .

(٣) محمد : ٢٤.

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[١] ، وقال عزَّ مِنْ قائل : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢] ، فإِنَّ أَحد مقامات سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وأَهل بيته عليهم السلام مقـام المُعلِّم الإلهي ، كما هو ولي وله ولأهل بيته مقام الولاية ، وورد عن زرارة : قلتُ لأَبي جعفر عليه السلام : ((**أَلا تخبرني من أَين علمت وقلت : أَنَّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين ؟ فضحك ، فقال : يا زرارة قاله رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونزل به الكتاب من الله عز وجل...**))[٣] ، وعن الإمام الصادق عليه السلام : ((**من دخل في هذا الدِّين بالرِّجال أَخرجه منه الرِّجال كما أَدخلوه فيه ، ومن دخل فيه بالكتاب والسُّـنَّة زالت الجبال قبل أَن يزول**))[٤] .

وبالجملة : إِنَّ مسير البحث عند الفلاسفة ـ ومَنْ جرى على شاكلتهم ـ غير منفتح على آفاق الوحي ، بل محبوس على النتاج المحدود لكلام البشر ، مع أَنَّ جملة كبيرة وكثيرة منه ظنيٌّ[٥] ؛ بدليل اختلاف وتباين أَقوالهم وآراؤهم في جُلِّ المسائل.

---

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) الجمعة : ٢.

(٣) الوسائل ، ج١ / الباب ٢٣ من أبواب الوضوء / ٢٩٠ / ح١ .

(٤) الغيبة ، للنعماني : ٢٩ . بحار الأنوار ، ٢ : ١٠٥ / ح٦٧.

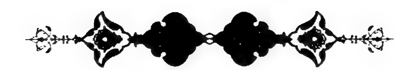
(٥) كما ذكر ذلك السيد الخوئي وأستاذه البلاغي قدس سرهما وغيرهما .

والأَوْلَى بالشعار الَّذي يرفعه الفلاسفة ـ وهو : معرفة الحقيقة على قدر وسع الطَّاقة البشريَّة ـ أنْ لا يحبسوا مسير البحث ويجعلوه ضيِّقاً ، بل توسعته لأُفق الوحي اللَّامتناهي ؛ لإِستخراج ما فيه من براهين وحقائق ، وهي لغة علميَّة وليست ظنيَّة.

الفائدة : (٣ / ٤٤)

أصل المدرسة العرفانيَّة

إِنَّ أَصل المدرسة العرفانيَّة هي الفرق الباطنيَّة من بعض رواة معارف أَهل البيت عليهم السلام ، والَّذين اعتورهم شطط ، ثُمَّ تولَّدت منها الفرق الصُّوفيَّة ، ثُمَّ تولَّدت منها المدارس العرفانيَّة.



الباب الرَّابع

الغلو والتَّقصير

وفيه : فائدتان

الفائدة : (١ / ٤٥)

ضابطة الغلو

يمكن تمييز الغلو عن غيره من خلال الضابطة التَّالية [١] ، وهي : التَّمييز بين ما منه الوجود وما به الوجود.

فالأوَّل : إِسناد خاصٌّ به تعالى.

والثَّاني : إِسنادٌ للوسائط ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ [٢] الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣] .

---

(١) وهذه الضابطة قُنِّنت في القرنين الأخيرين من قِبَل علماء المعقول.

(٢) (من) بمعنى : باء الواسطة.

(٣) الأنبياء : ٣٠.

لكن : بالدِّقَّة أَنَّ الأوَّل ينقسم إلى نحوين :

ما منه الوجود بالذَّات ، وهذا ينحصر بالباري تعالى.

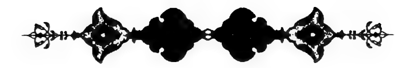
وما منه الوجود بالغير ، وهذا يأَتي في الممكنات ، كالمرآة التي أخذت الصورة المنطبعة فيها من مرآةٍ أُخرى.

الفائدة : (٢ / ٤٦)

ابن أبي الخطاب

إِنَّ جُلَّ غلو ابن أَبي الخطّاب لم يكن عقائديّاً ، بل سياسيّاً وفي البرنامج الثقافي والتَّبليغي ؛ فهو قد أَظهر من الحقائق ما لا ينبغي إِظهاره ، فأَذاع معلومات حقَّه في نفسها ، لكنَّها فهمت معكوسة من قِبَل أتباعه وغيرهم ، وعلى أَثره لُعِنَ من قِبَل الإمام عليه السلام.

نعم ، بعد ذلك صار غلواً عقائديّاً من قِبَل أَصحابه.



الباب الخامس

ما يرتبط بالإِدراك والذِّهن

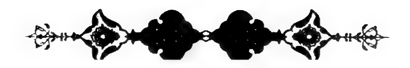
وفيه : فائدة واحدة

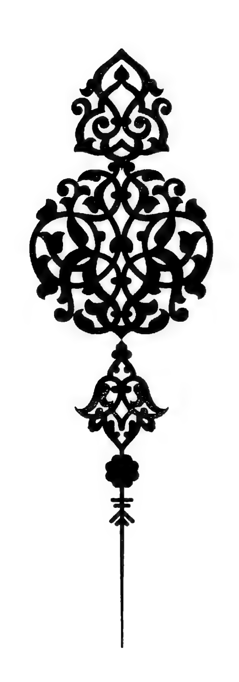
الفائدة : (١ / ٤٧)

العدم المطلق

نكتة مهمَّة : أَنَّه لا تقرُّر للعدم المطلق ، بل كلُّ عدمٍ لا بُدَّ وأَن يكون مقيَّداً ، فالعدم المطلق لا يوجد له تقرُّر في الذهن بالحمل الأولي فضلاً عن الحمل الشائع ، فمسرحيَّة العدم المطلق لا وجود لها ، وبالتَّالي كلُّ ما يقال من تناقض هو بالدِّقَّة تضاد ، فلب المنطق لا يرجع إلى التناقض ، بل إلى التضاد.

وعليه : فكلُّ ما في الوجود وجود .





المَقصَدُ الثَّاني

القواعد العامَّة في عالم التَّكوين

(الإِلهيَّات بالمعنى الأعم)

وفيه : سبعة أَبواب

الباب الأَوَّل

القواعد النُّظميَّة في معرفة التَّكوينيَّات

وفيه : فائدة واحدة

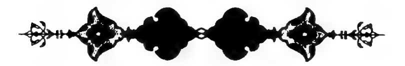
الفائدة : (١ / ٤٨)

الحركة في معرفة التَّوحيد

إِنَّ الحركة لا تكون في الأعراض والجواهر فحسب ، فإِنَّ هناك حركة عقليَّة كذلك ، بل وحركة في الحدوث ، فأَوَّل مخلوق له حركة ، وحركته في الرِّتبة : أَنَّه لم يكن ثُمَّ كان ، وهذا مستفاد من بيانات الوحي.

بل ، ورد نمط آخر من الحركة ، وهي ما في دولة الأسماء ، كما ورد ذلك في الأَدعيَّة ، منها ما جاء في دعاء الافتتاح : **((وأَيقنتُ أَنَّك أنت أَرحم الرَّاحمين في موضع العفو والرَّحمة ، وأَشدُّ المعاقبين في موضع النَّكال والنَّقِمَة ، وأَعظم المُتَجَبِّرِين في موضع الكبرياء والعَظَمة))** ، فهذه حركة في دولة الأسماء.

وينبغي الإِلتفات: إِنَّ إِدراك الحركة في معرفة التَّوحيد تكامليّاً ناموس عظيم.



الباب الثَّاني

القواعد العامَّة للأَجسام

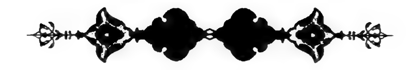
وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ٤٩)

حقيقة الأعراض

هناك قاعدة مهمَّة في علم المعقول ، خرج بها صدر الدِّين الشيرازي، وهي : (أنَّ الأَعراض بالدِّقَّة ليست إِلَّا شؤوناً للجوهر) ، كالموج ، فإِنَّه من شؤون البحر.

كما أَنَّ هناك نظريَّة في مقابل ذلك ، وهي : أَنَّ الأَنواع ليست إِلَّا هِبَآت لتشكيلات عرضيَّة للمادة الواحدة [١] .



(١) ومن أَراد الإِستزادة والتَّفصيل أَكثر فليراجع الفائدة : (٣/ ١٢٤).

الباب الثَّالث

تقسيم العوالم

وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ٥٠)

عـوالـم الـتَّـكـوين

ينبغي الالتفات : أَنَّ عوالم التَّكوين مترتِّبة طولياً [١] بالشكل التَّالي :

الأَوَّل : عالم المادة الغليظة المحسوسة.

الثَّاني : عالم نفس الحس ، وهو ماديٌّ جسمانيٌّ كذلك ، لكنَّه ألطف من الأَوَّل ، وغير مرئيٍّ بأَدوات الحس للبدن الغليظ ، نعم يمكن رؤيته لأهل الرِّياضات وإِن كانوا من أَهل الباطل.

الثَّالث : عالم البرزخ والمثال [٢] ، وهو ألطف من السابقين وفوقهما.

---

(١) وهذا التَّرتيب ناموس المعرفة.

(٢) وقد يسمى (عالم الخيال).

وليس المراد منه الخيال بالمعنى اللُّغوي ، وهو تَـمْـثُّل الصُّور الَّتي لا حقيقة لها ، بل المراد : عالم من الجواهر الجسمانيَّة الأَلطف من الأَجسام الغليظة والحسيَّة.

الرَّابع : عالم الوَهْم [١] ، وهو عالم عقليٌّ مجرَّد مُتعلِّق بالجسم المتوسط باللَّطافة وهو الجسم السماويُّ.

وقد يُدرج هذا القسم في المراتب العليا من القسم السابق.

وفي بيانات الوحي [٢] : أَنَّ للإنسان جسماً ظليّاً (عالم الأَظلَّة والأَشباح) ألطف من جسم الجنَّة الأبديَّة ، هو الذي يتعلَّق به العقل النازل [٣] المعبَّر عنه بالوَهم.

إذنْ : الوَهْم ليس سراباً وتبدُّداً ، بل هو العقل المحدود المُتعلِّق بِأَشَفِّ الأجسام وألطفها توسطاً [٤] ، ويُعبِّر عنه المشاء بالعقل الساقط.

---

(١) ليس المراد من الوَهْم بهذا الاصطلاح العقلي المعنى اللُّغوي من اللَّفظة ، وهو السراب الَّذي لا حقيقة له ، بل المراد : عالمٌ متوسطٌ بين العالم العقلي وعالم البرزخ والمثال ، وسيأتي في الحاشية ما بعد التَّالية مناسبة أُخرى لمعناه الإِصطلاحي.

(٢) كما ورد في مستفيض روايات الأَظلة .

(٣) ولأجل ذلك يصير محدوداً ومتناهياً، فتكون الواقعيَّة التي وراء حدِّه غيباً بالنِّسْبَة إليه، ولهذا عُبِّر عنه بالـوَهْم ، أَي : إِنَّ إِدراكه لما وراء حدِّه لا بنحو اليقين.

بل يُطلق الوَهْم في لسان الوحي على العقل المطلق رغم عدم تعلُّقه بالجسم المتوسط ؛ لأَنه مخلوق ومحدود ، فبلحاظ ما بعد حدِّ العالم العقلي يكون إِدراك العقل وهماً .

وهذه القضيَّة المعرفيَّة والشأن في العالم العقلي هو أَحد صغريات كبرى ما ورد عنهم عليهم السلام : **((أمر بين أَمرين))** ، فلا العقل يحيط بمطلق الحقيقة ، ولا هو سراب وتبدُّد، وإِنَّما يُدرِك من الحقيقة ما يمكنه، وما لا يمكنه يعتمد فيه على الوحي.

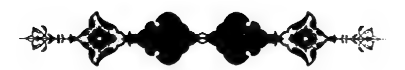
وهذا الشأن وهذه النكتة تجري كذلك بلحاظ الصوادر الأُوَل ، فالذات الإلهيَّة غيب بالنِّسبة لنور الصادر الأَوَّل صلى الله عليه وآله ، فلذا يستمدُّ الفيض والعون منه تعالى.

(٤) عند المشاء والإِشراق : أَنَّ العقل المُتعلِّق عرضيّاً في مقام الفعل بالجسم والبدن هو النَّفس أَو الرُّوح ، وقد خَطَّأَ المُلَّا صَدْرا ذلك ، وذهب إلى أَنَّ تعلُّق جوهر النَّفس بالجسم والبدن تعلُّقٌ جوهريٌّ ، وليس في مقام الفعل فحسب ، وأَنَّ النَّفس جسمانيَّة الحدوث روحانيَّة البقاء.

←

الخامس : عالم العقل المطلق ، الذي لم يتعلَّق بالجسم عند الفلاسفة وجملة من المُتكلِّمين ، ولكنَّه مُتعلِّق بألطف الأَجسام وأَشفها في بيانات الوحي ، ومن ثَمَّ ورد في بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : ((**إِنَّ الله عزّ وجلّ خلق العقل وهو أَوَّل خلق من الروحانيّين**)) [(١)] .

وبعد هذه العوالم عوالم أُخر [(٢)] .



والصحيح : أَنَّ كلّاً من العقل والنَّفس مُتعلِّق بالجسم ، إِلَّا أَنَّ الإِختلاف إِنَّما هو في درجات الجسم لطافة وشِدَّة.

(١) أُصول الكافي ، ١ / كتاب العقل والجهل / ٢١ / ح١٤.

(٢) وبعض هذه الطبقات تتصَّف بها جملة من الحيوانات على إِختلاف المراتب.

الباب الرَّابع

المُجرَّدات (معنى اللَّطيف)

وفيه : أَربع فوائد

الفائدة : (١ / ٥١)

المجرَّد

المعروف عند متقدمي المُتكلِّمين : أَنَّه لا مجرَّدَ في الوجود عن الجسمانيَّة غير الواجب تعالى.

لكن ، ذهب جُلُّ الفلاسفة إلى إِمكانه لبعض الممكنات ، كتجرُّد العالم العقلي أَو الرُّوح أَو النَّفس ذاتاً لا في مقام الفعل ، خصوصاً الصوادر الأولى ، وبالتالي لا تكامل فيها ؛ لأَنَّ التَّكامل محتاج إلى الحركة ، وهي محتاجة إلى المادة ، وهو خلاف فرض تجرُّدها ، ومن ثَمَّ بنوا على عدم التَّكامل في العوالم اللَّاحقة.

لكنَّ الوحيَ يُثبِتُ وبشكل واضح خلاف ذلك، فإِنَّ الدِّين [١] ـ والَّذي يحصل من خلاله التَّكامل ـ باقٍ ما بقي الإنسان ، وإِنَّ العالم العقلي عالم

(١) وهو العقائد وأركان الفروع ، وهو غير الشريعة ، فإِنَّها من مختصَّات عالم الدُّنيا بعوالمه الثلاثة.

روحيٌّ ، وإِنَّ مطلق العوالم الرُّوحيَّة مُتعلِّقة بطبقات مختلفة في اللَّطافة والكثافة بالأَجسام ؛ بتفاوت شاسع جِدّاً.

نعم ، يظهر من دلائل الوحي وبشكل واضح : أَنَّ عالم الأَسماء وعالم النُّور بالمعنى الأَخصِّ مُجَرَّدٌ تجرُّداً تاماً.

أَجل ، ذهب ابن سينا في الشِّفاء والمُلَّا صَدْرا في الأسفار إلى أَنَّ للعقل مادةً عقليَّة ، وذهب الخواجة نصير الدِّين الطوسي في شرح الإِشارات إلى تكامل العقول [١] ، وهي على درجات.

الفائدة : (٢ / ٥٢)

اشتداد لطافة الأجسام انعدام لإِحكام غلظة الجسم

توجد قاعدة عقليَّة تذكر في أبواب المعارف ، وهي : أَنَّه (كُلَّما ازدادت اللَّطافة انعدمت النِّسْب والحجب والفواصل والأبعاد ، مكانيَّة أَكانت أم زمانيَّة أم جرميَّة ، واشتدَّت القدرة والوجود والحضور والعلم).

وهذه القاعدة من خفايا المباحث العقليَّة.

---

(١) من خلال التفاتة العقل إلى المعلومة.

الفائدة : (٣ / ٥٣)

تصرُّف وسيطرة الألطف

تقرَّرَ في اكتشافات العلوم الحديثة : أَنَّ الجسم الأَلطف ينفذ ويسيطر ويتصرَّف في الجسم الأغلظ.

وهذا على خلاف ما يتوهمه البشر ، فيظنُّ العكس.

الفائدة : (٤ / ٥٤)

نسبة الأجسام إلى المُجرَّد

إِنَّ نِسْبَة الأَجسام المتباعدة بالإِضافة إلى الجسم الأَلطف منها : نِسْبَة واحدة ، كنقطة واحدة ، فضلاً عن نسبتها إلى الجوهر المُجرَّد ؛ لأَنَّ نِسْبَتها إليه نِسْبَة تقوُّم.

وهذه معادلة فوق العلوم الرياضيَّة ؛ الباحثة عن نِسْبَة الأَجسام ذات الوجود في رتبة عرض واحد.



الباب الخامس

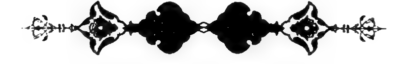
عالم الخيال

وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ٥٥)

مهارات الجن

توجد لدى الجنِّ مهارات في فنون شتى ، لم تكن عند غيرهم من المخلوقات عدا المعصوم عليه السلام ، وهذه المهارات تظهر حتى في فن الإعمار ؛ وذلك لقدراتهم في عالم الخيال والقوَّة المخيّلة ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [١] ، وقوله تقدَّس ذكره : ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [٢] .



---

(١) سبأ : ١٢ ، ١٣ .

(٢) الأنبياء : ٨٢.

الباب السَّادس

الجسميَّة وطبقاتها

وفيه : ثمان فوائد

الفائدة : (١ / ٥٦)

عموم قواعدالأجسام

أحكام طبقات الأجسام

هناك قاعدة عقليَّة مهمّة جِدّاً ، وربَما وقعت غفلة عِدَّة من الأكابر عنها في علم المعقول ، وهي : أَنَّ (اشتراك واختلاف طبقات الأَجسام والأَحكام العامَّة للجسم قواعد عامَّة لكلِّ الأجسام باختلاف طبقاتها حتى اللَّطيفة منها) ، فهي لا تخرج عن القوانين التَّكوينيَّة للجسم ، غايته : كُلَّما لطف الجسم ترقِّياً كانت أحكامه ألطف ، ويحسبها ذو الجسم الأغلظ أَنَّها مُجَرَّدة ، وهذا أَحد تفاسير طي الأرض : وأَنَّه حركة الأَجسام اللَّطيفة فتتبعها أجسام غليظة، قال تعالى : ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ (١) .

كما أَنَّ هناك جملةً من أَحكام الأَجسام مُختصَّة وخاصَّة بكلِّ طبقةٍ من الأَجسام ، وبحسب درجة لطافتها أَو غلظتها ، نظير استغراق الحركة والإِنتقال من مكان إلى مكان آخر إلى مقدار زماني مخصوص بخصوصيَّة.

ونظير إِختلاف طبقات الأَجسام في الأَزمان ؛ فإِنَّ لكلِّ عالم جسماني زماناً يختلف عن عالم الجسماني الآخر.

ونظير إِختلاف الأَجسام في الإِستعدادات ، والمُعِّدات ، ودرجات القوَّة والقدرة.

مثال ذلك : إِختلاف حركة الجسم الغليظ من شرق الأَرض إِلى غربها ، كما لو أَراد الإِنسان أَن يتحرَّك ببدنه الغليظ من الشَّرق إلى الغرب ، فإِنَّه يحتاج إلى فترة زمنيَّة كبيرة جِدّاً ، وهذا بخلاف سرعة ولطافة حركة الأَجسام اللَّطيفة كحركة موجة الأَثير ، فإِنَّها تنتقل من شرق الأَرض إلى غربها خلال ثوان معدودة ، وهكذا حركة الرُّوح ، فإِنَّها جسم لطيف أَيضاً تعرج من الأَرض إِلى السماء ، بل السماوات خلال لحظات.

الفائدة : (٢ / ٥٧)

عروض العدد الرِّياضي على الأشياء

إِنَّ الشيء إذا عرضه العدد الرِّياضي كان جسماً باللُّغة العقليَّة وإِن لم يُدرَك.

ومن ثَمَّ : أَنَّ المُجرَّد واحد لا بالعدد.

وهذه الضابطة : تصدق على كثيرٍ من الأشياء غير المرئيَّة ، وإِن كان أصحاب العلوم الطبيعية كالفيزياء قديماً لا يعدُّونها أَجساماً ، كالطَّاقات السابحة.

الفائدة : (٣ / ٥٨)

تبدُّل الجسم الدُّنيوي

هناك قاعدة تذكر في باب المعاد ، حاصلها : (أَنَّ كلَّ جسمٍ دنيويٍّ يتبدَّل) ؛ لتبدُّل جميع وتمام خلاياه بقضِّها وقضيضها كماء النهر.

وهناك إحصائيَّات في المراكز العلميَّة الحديثة تُثبِت : أَنَّ كُلَّ ثلاث سنوات ، بل أَقل من ذلك تتبدَّل جميع خلايا ونسيج البدن بكلِّ أَعضائه وأَجزائه.

لكن ، ينبغي الإِلتفات : أَنَّ هناك من طبقات الجسم الدُّنيوي ليس ما نراه بالعين المحسوسة ، وإِنَّما هو حسيٌّ غير مرئيٍّ [١] ، ويعبَّر عنه علميّاً : الاكتوبلازما ، وهو يغاير الجسم البرزخي [٢] ، ومادته أَلطف من هذه المادة الغليظة.

وينبغي الإِلتفات أيضاً : أَنَّ معرفة طبقات الجسم في غاية الأَهميَّة في أَبواب المعرفة والمعارف ؛ فإِنَّها ناموس المعرفة ، فإذا لم تُتقن من جميع الزَّوايا يؤدي إلى اختلال معرفي.

---

(١) وهو ما يُرى في أَول لحظات النوم ، أَو في بدايات اليقضة.

(٢) وهو ما يُرى في عالم المنام عند النوم العميق.

الفائدة : (٤ / ٥٩)

تعدُّد أجسام الشيء الواحد

إِنَّ للشخص الواحد أَجساماً مُتعدِّدة ـ منها : جسم عالم الأَظلَّة والأَشباح ، وطبقات الجسم السماوي ، وجسم عالم الذَّر ، وجسم عالم الدُّنيا المرئي ، وجسم عالم الدُّنيا غير المرئي ، وجسم عالم البرزخ ، وجسم عالم الرَّجعة ، والجسم الجنَّاوي ـ تختلف فيما بينها من حيث الغلظة والكثافة واللَّطافة.

والجسم كُلَّما تلطَّف قوي إحساسه ، وزاد حضوره إِدراكاً للأَشياء، وصارت هيمنته أَقوى ، وضعف إِحساس الآخرين به ، وانعدمت إِختلاف النِّسْب لديه ؛ فلا تحجبه الأَجسام والمسافات مكانيَّة أَكانت أم زمانيَّة ، وكانت أمكنة الغليظ المتباعدة حاضرة لديه بحضور واحد.

وهذه القضيَّة والظاهرة توصَّلت إليها العلوم الطبيعية الحديثة ، لكنَّ الصعوبة في تذوقها.

وهذا المعنى من اللَّطافة موجود عند وبين الملائكة فضلاً عن الإِنس والجن.

وهناك ذبذبات تصدر من طبقات الإنسان قد تخفى على الكرام الكاتبين فضلاً عن غيرهم ؛ فإِنَّ الجسم الأَغلظ قواه الإدراكيَّة لا تَلتقط ولا تُدرِك ولا تُحيط بالجسم الأَلطف ولا بقواه.

الفائدة : (٥ / ٦٠)

عوالم الأجسام بعد السماء السَّابعة

توجد في عالم التَّكوين جملة عوالم جسمانيَّة لطيفة ، فوق السماء السَّابعة ، بعضها فوق بعض ، وهذه الفوقيَّة وجوديَّة ، وهي :

١ـ البحر المكفوف[١] ، عن أَبي عبد الله عليه السلام ، قال : **((جاءت زينب العطَّارة الحَوْلاء إِلى نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته وكانت تبيع منهنَّ العِطْر، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله ... فقالت : ما جئت بشيءٍ من بيعي ، وإِنَّما جئتك أَسألك عن عظمة الله ، فقال : جلَّ جلال الله ، سأحدّثك عن بعض ذلك. قال: ... وهذه السبع ومَنْ فيهنَّ ومَنْ عليهنَّ عند البحر المكفوف عن أَهل الأَرض كحلقة في فلاة قيّ))** [٢] .

٢ـ جبال من برد ، وعنه عليه السلام : **((والسبع والبحر المكفوف عند جبال البَرَد كحلقة في فلاة قيّ ، ثُمَّ تلا هذه الآية : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾[٣]))** [٤] .

---

(١) خلقت فيه كالسماوات السبع عشرات الآلاف.

(٢) توحيد الصَّدوق ، ٣٨ـ باب ذكر عظمة الله جل جلاله / ٢٦٩ / ح١.

(٣) النور : ٤٣.

(٤) توحيد الصَّدوق ، ٣٨ـ باب ذكر عظمة الله جل جلاله / ٢٦٩ / ح١.

٣ـ حجب النُّور ، وعنه عليه السلام : ((**وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند حجب النُّور كحلقة في فَلاة قيّ ، وهي سبعون أَلف حجاب يذهب نورها بالأبصار))** [(١)] .

٤ـ الهواء ، وعنه عليه السلام : ((**وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب عند الهواء الَّذي تَحارُ فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ))** [(٢)] .

٥ـ الكرسيُّ ، وعنه عليه السلام : ((**والسبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب والهواء في الكرسيِّ كحلقة في فلاة قيّ ، ثُمَّ تلا هذه الآية : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾** [(٣)])) [(٤)] .

٦ـ العرش ، وعنه عليه السلام : ((**وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب والهواء والكرسيّ عند العرش كحلقة في فلاة قيّ ، ثُمَّ تلا هذه الآية : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** [(٥)] ، **ما تحمله الأَملاك إِلَّا يقول لا إِله إِلَّا الله ولا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله))** [(٦)] .

ونسبة السماء السَّابعة إلى الأوَّل كرأس إبرة في محيطات مترامية ، وهكذا نسبة بعضها إلى الآخر.

---

(١) توحيد الصَّدوق ، ٣٨ـ باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله / ٢٦٩ / ح١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البقرة : ٢٥٥.

(٤) توحيد الصَّدوق ، ٣٨ـ باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله / ٢٦٩ / ح١.

(٥) طه : ٥.

(٦) توحيد الصَّدوق ، ٣٨ـ باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله / ٢٦٩ / ح١.

ومن النتائج المذهلة الَّتي توصَّل إليها علم الفضاء الحديث : أَنَّه لا يوجد في عالم التَّكوين فضاء وفراغ ، بل بناء كلُّه وإِن لم نره ، وهذا ما أَكَّده الباري سبحانه في كتابه الحكيم قبل أَربعة عشر قرناً ، قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [١] ، وقال عزَّ من قائل:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [٢] .

الفائدة : (٦ / ٦١)

الملائكة أجسام لطيفة

إِنَّ جُلَّ الفلاسفة والعرفاء ـ إِن لم يكن كلُّهم ـ يذهبون إلى أَنَّ الملائكة مخلوقات مجرَّدة عن مطلق الأَجسام.

والصحيح : أَنَّها أَجسام لطيفة ، كما ورد ذلك في بيان لأَمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الأَشباح : ((... **يزدادون على طول الطاعة بربهم عِلْماً ، وتزداد عِزَّةُ ربهم في قلوبهم عظماً**)) [٣] ، فإِنَّه عليه السلام وصفهم بالتَّكامل ، وهو فرع الحركة ، وهي فرع الجسميَّة.

والَّذي ينبغي أَن يقع في هذا المحذور علماء الفيزياء ـ لا أَهل المعقول والعرفاء ـ ؛ لأَنَّهم كانوا يرون انحصار الجسم في المادة الغليظة والكثيفة ، وإِلَّا فالأَشياء هي طاقة.

---

(١) الذاريات : ٤٧.

(٢) الذاريات : ٧.

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة : (٩٠) المعروفة بخطبة الأشباح.

أَمَّا أَهل المعقول والعرفاء فحقيقة الجسم عندهم : الشيء الَّذي له أَبعاد جوهريَّة ثلاثة ـ الطول والعرض والعمق ـ فتكون الطَّاقات كالقوَّة المغناطيسيَّة جسماً ؛ لأَنَّ لها مجال ممتد طولاً وعرضاً وعمقاً.

وينبغي الإِلتفات : أَنَّه في علوم الفيزياء الحديثة تغيَّر اصطلاح الأَجسام عندهم ، فأَصبحوا يطلقونه على الأَجسام اللَّطيفة وغير المرئيَّة بالحواس الغليظة ، كما تبنَّوا ذلك في علم الصغائر ـ علم (الكوانتم) ، وعلم (النانو) ، وعلم (الفيمتوا) ـ .

والَّذي أَوقع الفلاسفة في هذا الوهم والخطأ : أَنَّ الجسم اللَّطيف يراه ذو الجسم الغليظ ؛ لشفافيَّته وسرعة حركته أَنَّه مُجرَّد ، والحال أَنَّ حركته قد حصلت بالتدريج، إِلَّا أَنَّ ضعف قدرات الحس لدينا لا تدركه ولا تُدرك حركته ؛ فإِنَّ قدرة وقوَّة أَنواع الحس متفاوتة بدرجاتٍ شاسعةٍ ؛ بقدر تفاوت الأَجسام في اللَّطافة والكثافة ، وبقدر تفاوت طبقات الرُّوح ، نظير تفاوت آليَّات الرَّصد الحسي التكنولوجيًا الحديثة قدرة وقوَّة بين المسلحة والمتوسطة والأَشدُّ تسلحاً ، ومن ثَمَّ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة المُتقدِّمة : ((... **فأَقام من الأشياء أَوَدَهَا ، ونهج حُدُودَهَا ، ولاءَمَ بِقُدرَتِه بين مُتَضادِّها ، وَوَصَل أَسْبَابَ قرائنها ، وفرَّقَهَا أَجناساً مُختلِفَاتٍ في الحُدُود والأَقدار ، والغرائز والهيئاتِ** ...)) ، ومنها: في صفة الملائكة عليهم السلام : ((... **وَوَرَاء ذلك الرَّجيج الَّذي تَسْتَكُّ منه الأَسَماعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَردَعُ الأَبصَارَ عن بُلُوغِها ،**

فَتقِفُ خاسِئَةً على حُدُودِها. أَنشأَهُم على صُوَرٍ مختلفاتٍ ، وأَقدارٍ مُتفاوتَاتٍ...)).

وهذا أَحد الأسباب الَّتي تجعل الحس يخطأ في البديهيات فضلاً عن غيرها.

الفائدة : (٧ / ٦٢)

طي الأرض

إِنَّ طيَّ الأرض عند الفيزيائي عبارة عن استنساخ الجسم ، فيتبدَّل إِلى أَمواج (طاقات أَلطف) في المكان الأَوَّل ويعاد إِنشاؤه وتكثيفه في المكان الآخر.

لكنَّه مجرَّد إِحتمال أَو فرضيَّة ؛ فإِنَّ ظاهر قوله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (١) من خلال كلمة ﴿بِهِ﴾ : أَنّ نفس الجسم يُؤتى به إلى المكان الآخر.

الفائدة : (٨ / ٦٣)

قياس المسافة بين المركز وسدرة المنتهى

أحد تفاسير قوله تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٢) : أَنَّه قياس لمبدأ المسافة بين نقطة المركز في الأَرض

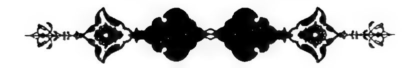
---

(١) النمل : ٣٩.

(٢) المعارج : ٤.

إلى سدرة المنتهى ، والَّتي هي نهاية عروج الملائكة المقربين والأَنبياء والمرسلين عدا خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

وعند جملة من فلاسفة علماء الإِماميَّة : أَنَّها نهاية العالم الجسماني ، لكنَّه مخالف لبيانات الأَدلَّة الواردة في العوالم الجسمانيَّة ، الدَّالَّة على أَنَّها فوق سدرة المنتهى.



الباب السَّابع

الرُّوح والنَّفس

وفيه : اثنتي عشرة فائدة

الفائدة : (١ / ٦٤)

حقيقة النَّفس والرُّوح

إِنَّ حقيقة النَّفس والرُّوح واحدةٌ ، لكن لها مراتب مُتعدِّدة، ولها إطلاقات ، فإن لوحظت المراتب النَّازلة والتَّعلُّق بالبدن الأَغلظ أُطلق عليها نفس ، وإِن لوحظت المراتب الصَّاعدة والتَّعلُّق بالبدن الأَلطف أُطلق عليها روح .

الفائدة : (٢ / ٦٥)

الإنسان في حالة سير مستمر

إِنَّ الإنسان دائماً في حالة توجُّه وسير مستمر ، سواء أَكان لربه أو لبطنه أو لفرجه أو... ، وقد بُيِّن هذا في عدَّة مواضع من بيانات الخطبة الشعبانيَّة المرويَّة عن سيد الأَنبياء ﷺ ، منها : قوله ﷺ : **((والَّذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ، إِنَّ**

إِبليس إِذا كان أَوَّل يوم من شعبان بثَّ جنوده في أَقطار الأَرض وآفاقها ، يقول لهم : اجتهدوا في اجتذاب بعض عباد الله إليكم في هذا اليوم. وإِنَّ الله ﷻ بثَّ الملائكة في أَقطار الأَرض وآفاقها يقول (لهم) : سدِّدوا عبادي وأرشدوهم فكلَّهم يسعد بكم إِلَّا مَنْ أَبى وتمرَّد وطغى ، فإِنَّه يصير في حزب إِبليس وجنوده ، ... ثُمَّ ينادي منادي ربنا ﷻ : يا عباد الله هذه أَغصان شجرة طوبى فتمسَّكوا بها ترفعكم إِلى الجنَّة ، وهذه أَغصان شجرة الزَّقُّوم فإِيَّاكم وإِيَّاها ، لا تؤدِّيكم إلى الجحيم. قال رسول الله ﷺ : فوالَّذي بعثني بالحقِّ نبيّاً إِنَّ مَنْ تعاطى باباً من الخير والبرِّ في هذا اليوم ، فقد تعلَّق بغصن من أَغصان شجرة طوبى ، فهو مؤدِّيه إِلى الجنَّة ، ومن تعاطى باباً من الشرِّ في هذا اليوم ، فقد تعلَّق بغصن من أَغصان شجرة الزَّقُّوم ، فهو مؤدِّيه إلى النَّار ...)) [(١)] .

وهذا وإِن ورد في شهر شعبان المُعظم ؛ لكنَّه يُبيِّن تأثير العمل مطلقاً في تعلُّقات الرُّوح الأخرويَّة.

وبالجملة : إِنَّ الإنسان في سير ملكوتي وإِن كان نائماً ، إِمَّا أَن يعرج من خلاله أو يتسافل، وهو عبارة عن المشهد الرُّوحي للإِنسان.

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام : ٦٠٨.

الفائدة : (٣ / ٦٦)

معرفة النَّفس بوابة المعرفة والتَّكامل

إِنَّ معرفة النَّفس لا تقتصر على كونها بوابة للمعرفة العقائديَّة ؛ من حيث إِنَّها آية من آيات الخلقة الإِلهيَّة ، بل تشمل حيثيَّة كونها بوابة وأَرضيَّة لبناء النظام المتكامل الخلقي والأَخلاقي ، قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1] ، وبالتَّالي فلا يُفتِّش الإِنسان عمَّا هو خارج ، بل عمَّا هو داخل ، ومن ثَمَّ ورد عن أَمير المؤمنين عليه السلام : **((دواؤك فيك وما تشعر ، وداؤك منك وما تبصر))**[2] وعنه عليه السلام أَيضاً : **((تزعم نفسك أَنَّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأَكبر))**[3] ، **((وأَنت الكتاب المبين ، الَّذي بأحرفه يظهر المضمر))**[4] .

هذا بلحاظ التَّكامل الخلقي ، وكذلك بلحاظ التَّكامل المعرفي ، وهو ما ستأتي الإِشارة إليه[5] .

---

(١) فصلت : ٥٣.

(٢) مرآة العقول ، ٣ : ٢٧٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) فلاحظ : الفائدة : (٧/ ٧٠).

الفائدة : (٤ / ٦٧)

أرواح الأئمة عليهم السلام

أَحد تفاسير قوله عليه السلام : ((أرواحكم في الأرواح)) ـ كما جاء ذلك في الزيارة الجامعة : ((**السَّلام عليكم يا أَهل بيت النُّبوَّة ... بأَبي أَنتم وأُمِّي ونفسي وأَهلي ومالي ، ذكرُكُم في الذَّاكرين ، وأَسماؤُكُم في الأَسماء ، وأجسادُكُم في الأَجساد ، وأَرواحُكُم في الأَرواح ، وأَنفُسُكُم في النُّفُوس ، وآثارُكُم في الآثار ، وقبُورُكُم في القُبُور...**)) ـ : أَنَّ الرُّوح الأَلطف تتصرَّف في الرُّوح الأغلظ ، كحال تصرُّف الجسم اللَّطيف في الغليظ.

الفائدة : (٥ / ٦٨)

إستعمالات الظِّل

لإستعمال لفظ الظِّل في كلمات الوحي معانٍ كثيرة ، منها :

١ـ أَصل الشيء .

٢ـ التَّابع.

٣ـ روح الشيء[١] .

٤ـ ماهية الشيء[٢] .

٥ـ منشأ وطينة الأرواح.

---

(١) **سميت بذلك** : إِمَّا لأَنَّ الرُّوح هي تظلل البدن ، أو لكونها جسم لطيف شفاف.

(٢) بالدِّقَّة هذا المعنى يرجع إلى الأَوَّل ؛ لأَنَّ ماهية الشيء هي أصله وذاته ، فجميع الممكنات زوج تركيبي من ماهيَّة ووجود ، وثنائيَّة الذَّات تحتاج إلى مَنْ يخلقها.

وفي الحديث: ((...**إِنَّ الأَرواح خُلِقَت قبل الأبدان بألفي عام ثُمَّ أُسكنت الهواء ؛ فما تعارف منها ثُمَّ ايتلف هاهنا ، وما تناكر منها ثُمَّ اختلف هاهنا...**))[١] .

والتَّتبُّع في الآيات والرِّوايات يفيد : أَنَّ أرواح المخلوق الواحد ذا طبقات ، بعضها فوق الجنَّة الأَبديَّة ودون العرش ، وبعضها الآخر دون ذلك، ومن ثَمَّ أَفعال الإنسان تشاهد من قِبَل مخلوقات تلك العوالم ، ففعل الحرام منكشف لديها ، وأَبراج المراقبة تبثُّ الصُّور بثاً حيّاً.

وبالجملة : إِنَّ للإنسان كينونة أَصليَّة في السماء الأولى ، وله أُخرى أَشفُّ منها في السماء الثانية ، وهكذا حتى السابعة ، بل فوقها .

وعالم الأظلَّة في بيانات روايات أَهل البيت عليهم السلام يُطلق على الكينونة الأَصليَّة التي دون العرش، وهي التي تتصرَّف وتُمسك بها دونها من أَرواح الشَّخص الواحد.

الفائدة : (٦ / ٦٩)

نـفـخ الــرُّوح

ركَّز الفلاسفة الإماميَّة لاسيما من زمن المُلا صَدْرا إلى العلَّامة الطباطبائي على مبحث نفخ الرُّوح ، لكن لم يتمّ لهم بلورته كما في بيانات الوحي.

---

(١) بصائر الدرجات ، ١ / ١٦ ـ باب في أَمير المؤمنين عليه السلام أَنَّه عرف ما رأى في الميثاق وغيره / ١٨٨/ ح٥.

والصحيح : أَنَّ الرُّوح خلقت قبل خلق البدن ، وكانت موجودة ومستقرة في عالمها ، وبعد خلقه وإيجاده أُولجت فيه ، وهذا ما يُعبَّر عنه بالنفخ الذي يتولاه إسرافيل عليه السلام.

الفائدة : (٧ / ٧٠)

معرفة النَّفس باب عظيم في المعارف

إِنَّ قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [١] هو مفهوم قول سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : ((**مَن عرف نفسه فقد عرف ربَّه**)) [٢].

ومعرفة النَّفس باب عظيم من أَبواب المعارف.

الفائدة : (٨ / ٧١)

المهارة في اكتشاف النَّفس

إِنَّ المهارة في أَن يكتشف الإنسان نفسه ، وأَنَّه أَيُّ معدن نفيس أُودع فيه ليميِّزه عن الآخرين.

---

(١) الحشر : ١٩.

(٢) عوالي اللآلي ، لابن أبي جمهور الإِحسائي ، ٤ : ١٠٢. وقريب منه ما ورد في أَمالي السيد المرتضى ، ١ : ٢٧٤.

الفائدة : (٩ / ٧٢)

قرحة الرُّوح

إِنَّ القرحة في الرُّوح أَشدُّ منها في البدن ، وكذا العواق والمذمَّة والتَّقبيح الرُّوحي ، قال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1] .

الفائدة : (١٠ / ٧٣)

النَّوم حركة للرُّوح

النَّوم حركة للرُّوح من الجسد إلى عوالم أَلطف ، فما لم تكن في الجسم روح فلا حركة فيه ولا نوم.

الفائدة : (١١ / ٧٤)

عظمة الرُّوح

إِنَّ السماوات وإن كانت من حيث الجسم أعظم من الإنسان ، لكنَّ الإِنسان من حيث الرُّوح والنُّور أَعظم منها بكثير.

الفائدة : (١٢ / ٧٥)

ترويض روحي

الرَّاجح شرعاً أَن يُقيم الإنسان علاقة مع الحور العين ، ويتغزَّل ويتولَّع بها ؛ فإِنَّها مطهِّرة من الذنوب ، وشدِّت حبها مطهر من الفواحش ، بل من فحش العين كذلك.

---

(١) الحج : ٤٦.

وهذا يتمُّ من خلال سلوك الطُّرق التَّالية :

الأوّل : ذكرهُنَّ بإدمان.

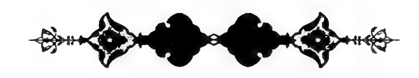
الثاني : شدة التولُّع بهن ، فاجعل بوتقة الشهوة في ذلك.

الثالث : مداومة الدعاء لطلبها ؛ فإِنَّ كثرة ذكر الشيء تورث المحبَّة[١] ، وهذه شهوة نورانيَّة علويَّة وليست ظلمانيَّة.

الرابع : ملاحظة صفاتها التي ذكرها الوحي ، فإِنَّها أمر عجيب ، وارتباطها بالإنسان أشدُّ من ارتباط الآدميَّة والجن والشياطين به؛ لأَنَّه إرتباط دائميٌّ.

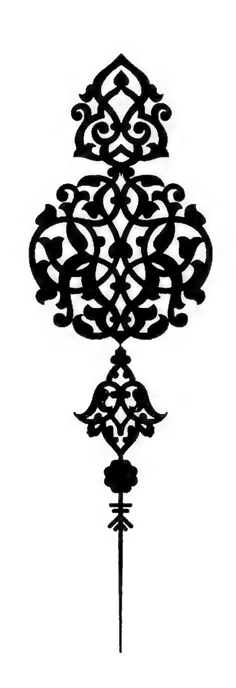
وهذه الطرق والآثار تأتي كذلك في تذكُّر الجنَّة والنار ، وأَحد أَسباب اعتصام الإنسان من الذُّنوب : رؤيته للجنَّة بقلبه ، فتعرض الرُّوح وتعزف عن بهرجة الدُّنيا. وكذا النَّار.

وهذه الوجودات الثلاثة مهولة وعظيمة ومحيطة بالسماوات السبع ، والمراد من عظمتها : قوةً ووجوداً .



---

(١) إِنَّ تكرار الشيء على القلب أَو الخاطر يورث المحبة إِن خيراً فخير وإِن شراً فشر، وهذه قاعدة لا تتخلَّف ولا تختلف.



المَقصَدُ الثَّالث

الإِلهيَّات بالمعنى الأَخصِّ

وفيه : بابان

الباب الأَوَّل

التَّوحيد

وفيه : ثلاثة فصول

الفصل الأَوَّل

التَّوحيد وأقسامه

وفيه : أُمور ثلاث

الأَمر الأَوَّل

إِثبات معرفة الذَّات الإِلهيَّة

وفيه : ثلاث فوائد

الفائدة : (١ / ٧٦)

المفهوم الحاكي للذَّات الأزليَّة

إِنَّ المفهوم الذي يحكي الذَّات الإلهيَّة لا يحكي عن صورة جسمانيَّة خارجيَّة ولا حسيَّة ولا خياليَّة ولا وهميَّة ، وإنَّما هو صورة للرُّؤية العقليَّة المنعكسة عن الواقعيَّة الأزليَّة، فهي متحصِّلة من مفاهيم سابحة في الذهن ، فتكون معنويَّة غير مقداريَّة ، لكنَّها لا تحيط بكُنه الذَّات الأزليَّة والواقعيَّة

المطلقة ، وإِنَّما هي حاكية لوجهٍ من وجوهها ، وآية من آياتها ، وأسم من أسمائها ، ونورٍ من أَنوار السَّاحة الإلهيَّة ، وهي حالة تجلٍّ تحصل لدى العبد.

الفائدة : (٢ / ٧٧)

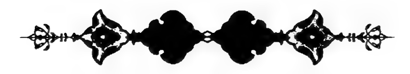
الاسم برهانٌ لِمِّيٌّ

إنَّ كلَّ اسم من الأسماء الإلهيَّة هو برهانٌ لِـمِّيٌّ تام لمعرفة الباري سبحانه ، ومن ثَمَّ ذُيِّل في كثير من الآيات القرآنيَّة بأكثر من اسم ؛ إِشارة للبرهان على مضمون الآية ، وإِن كانت غالب الأَذهان لا تنتبه إلى تلك الصِّلة ووجه التَّرابط إِلَّا في الجملة.

الفائدة : (٣ / ٧٨)

نزوع الـفـطـرة للتَّوحيد

إِنَّ الفطرة الإنسانيَّة على قوَّتها وضعفها تنزع بشدَّة نحو الكمال المطلق واللَّامحدود، وهو الذَّات الإلهيَّة ، فلَمَعَانُ اللَّامحدود هو الَّذي يقضُّ مضجع كُلِّ محدودٍ للتَّكامل ، ولا بُدَّ له من طريق ووسيلة ، ولا تتناهى الوسائل والطُّرق إِلى حدٍّ.



الأمر الثَّاني

الرُّؤيَة

وفيه : فائدتان

الفائدة : (١ / ٧٩)

رؤية الذَّات المُقدَّسة

إِنَّ رؤية الذَّات المُقدَّسة ـ وبحسب ما يستفاد من بيانات الوحي ، منها ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام : ((... **قال له السائل: فإِنَّا لم نجد مَوهُوماً إِلَّا مخلوقاً ، قال أَبو عبد الله** عليه السلام **: لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنَّا مرتفعاً لأَنَّا لم نُكَلَّف غير موهوم...**))[1] ـ لا تنحصر بالرُّؤية الذوقيَّة العيانيَّة القلبيَّة ، وإِنَّما يمكن من خلال الرُّؤية العقليَّة وقوَّة الوَهْم والخيال ، بل والحسيَّة ، من خلال الآيات في أَقسام الرُّؤية ، لكنَّها لا بالكُنه ، بل من وجهٍ ، قال تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[2] وقال عزَّ من قائل : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[3] .

---

(١) أصول الكافي ، ١/ كتاب التَّوحيد/ ٢٤ ـ باب إِطلاق القول بأَنَّه شيء/ ٦٠ / ح٦.

(٢) الزمر : ٢٢.

(٣) الأنعام : ١٢٥.

لكن ، من خلال الرُّؤية القلبيَّة للآيات في الآفاق تكون المسافة أَقرب والوصول أَقصر ، وهكذا الرُّؤية العقليَّة أَقصر وأَقرب من الحسيَّة.

مضافاً : أَنَّ الرُّؤية القلبيَّة تكون أَبعد عن توهم التَّجسيم والتَّشبيه من الأُخريات ـ العقليَّة ، والوهميَّة ، والخياليَّة ، والحسيَّة ـ لاسيما الأَخيرتين.

الفائدة : (٢ / ٨٠)

للمخلوق وجهتان

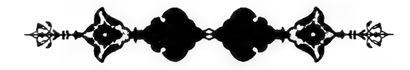
إِنَّ للمخلوق بلحاظ ارتباطه بالخالق جهتين : جهة تلي الرب [١] ، ومن دون وسائط ، وجهة مع الوسائط [٢] .

وفُسِّر قوله تعالى : ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [٣] بالجهة الأولى.

والتَّحقيق : أَنَّ الوسائط يحتاج إليها المخلوق في هذه الجهة أَيضاً ، إِلَّا أَنَّها لا تُلحظ ، وهو ما يُعبَّر عنه بمحو الوسائط ، قال تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٤] .

نعم ، كُلَّما قربت الوسائط لذي الواسطة كانت حكايتها أَقوى .

وحكاية المخلوق عن خالقه أقوى من حكاية المرآة عن ذيها.



(١) تعبير أَهل المعرفة .

(٢) الوسائط أمور تكوينيَّة .

(٣) البقرة : ١٤٨.

(٤) البقرة : ١١٥.

الأَمر الثَّالث

المعرفة بالآيات ، ونفي التَّجسيم والتَّعطيل

وفيه : اثنتي عشرة فائدة

الفائدة : (١ / ٨١)

ضرورة ولا بُديَّة التَّوسل بالآيات

أَشار صاحب الميزان ﵀ إلى قاعدة معرفيَّة ، ذكرها أَهل المعنى والمعرفة ، وهي : أَنَّ النَّفس النَّازلة لا بُدَّ لها من التَّوسل بالوسائط ـ الآيات الإلهيَّة ـ في معرفة الباري تعالى، والمعرفة بالوسائط على نمطين : فتارة تكون الوسائط ملحوظة ـ كنزول جبرائيل عليه السلام ـ ، وأُخرى غير ملحوظة.

وفي النمط الثَّاني يحصل للعبد تجلِّي الباري من خلالها بدرجة أَظهر وأَجلى ، فقوله عليه السلام : ((**بنا عرف الله**))[1] معناه : أنّ المعرفة لا تتمُّ إِلَّا من خلالهم وإِن لم يُلحظوا عليهم السلام .

إِلَّا أَنَّه ﵀ قد حصلت له غفلات عن هذه القاعدة في موارد ، تبعاً لجملة من أَهل المعرفة والفلاسفة ، حيث قالوا : إِنَّ لكلِّ مخلوق وجهتين : إحداهما

---

(١) الكافي، ١ : ١٤٥ .

بالواسطة ، والأُخرى من دونها ، وأَطلقوا عليها : ((الجهة الَّتي تلي الرَّب)) ، وعلى الأُولى : ((الجهة الَّتي تلي الخلق)).

والحقُّ : أَنَّها سقيفة عرفانيَّة في المعرفة ؛ لاستلزام النمط الثَّاني ـ المُدَّعى من نفي الوسائط ـ المعرفة بالكُنه والتَّشبيه ، وهو مستحيل.

نعم ، لشَّفافيَّة النمط الثَّاني في الحكاية لا تلحظ الواسطة ، ونظيره : ما حصل لبلقيس ، حيث حسبت الصَّرح لُـجَّة ماء ، ولم تلحظه ؛ لشدَّة شفافيَّته ووجوده ، ولم تشعر به ، ولَـمَّـا أُخبرت بالأَمر آمنت ؛ لأَنَّها التقطت إِشارة إِلى معنى تجلِّي الباري سبحانه ، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١] .

وهذه المؤاخذة تُسجَّل على جميع أهل المعرفة حتى الإماميَّة منهم والصوفيَّة ؛ فإِنَّ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [٢] ، وقوله ﷺ : **((أَنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد**

---

(١) النمل : ٤٤.

(٢) الأعراف : ٤٠.

المدينة فليأت الباب))[١] هو على إطلاقه يثبت ضرورة وجود الوسائط في المعرفة ، غاية الأمر أنَّها على نمطين.

الفائدة : (٢ / ٨٢)

الحاكي عن الذَّات

إنَّ قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢] و قوله تقدَّس ذكره : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٣] بيانان دالَّان على مبحث مهمّ وخطير في الصِّفات الذَّاتيَّة ، يتمُّ على مبنى حاكويَّة الصِّفات ، حاصله: أَنَّ الحاكي عن الذَّات المُقدَّسة هو الصادر الأوَّل فحسب، أَمَّا الصَّادر الثاني فهو حاكٍ عن الأوَّل ، والثالث حاكٍ عن الثاني وهكذا.

إذنْ : الآية التي بالواسطة هي آية الآية ، وليست لنفس ذي الآية ، فسيِّد الأنبياء صلى الله عليه وآله هو حبيب الله بينما أمير المؤمنين عليه السلام هو حبيب حبيب الله ، ومن ثَمَّ ورد : **((أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كلمة الله))**[٤] ، و**((أمير المؤمنين عليه السلام كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله))**[٥] .

---

(١) بحار الأنوار ، ٤٠ : ٨٧ . عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، ١ : ٢٣٣/ح١. تحف العقول : ٤٣٠. عوالي اللآلي ، ٢٠٥/ح٤.

(٢) الرحمن :٢٦_٢٧.

(٣) القصص : ٨٨.

(٤) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام : ١٨٥ .

(٥) مصباح الزائر ، للسيد ابن طاووس : ٦٩-٧٢ . بحار الأنوار ، ٩٧ : ٢٩٥ .

الفائدة : (٣ / ٨٣)

المخلوق آية لربّه

إذا دققنا النَّظر في قوله عليه السلام : ((داخل في الأشياء لا بالممازجة خارج عنها لا بالمزايلة)) [١] نجد أَنَّ الدَّاخل ليست هي الذَّات المُقدَّسة ، بل هو فيض وفعل وتَـجَلِّي وأمر الله الأَقدس [٢] أَو المُقدَّس [٣] ، فكلُّ مخلوق له جنبة وحيثية شريفة ، وهي : آيتيته لربه.

الفائدة : (٤ / ٨٤)

أشرف شيء في المخلوق

إِنَّ المخلوقات طُرّاً لاسيما العظيمة منها ذات جنبتين وإضافتين:

إحداهما: جنبة المخلوقيَّة.

والأُخرى: أسميَّة المخلوق وآيتيَّته لربِّه ، وهذا أَحد تفاسير قول أَمير المؤمنين عليه السلام : ((اعرِفُوا الله بالله ...)) [٤] ، فإِنَّ هذه الجنبة والإِضافة حاكية عن الله ، وهي أَشرف شيء في المخلوق.

---

(١) التوحيد : ٣٦٠ . نهج البلاغة ، صبحي صالح : ٢٧٤ ، الخطبة : ١٨٦ . المشهور ما في المتن ، لكن في المصدر : ((داخل في الأشياء لا بالمزاولة ، خارج عنها لا بالمفارقة)).

(٢) ويراد به عالم تجلِّي الأَسماء والصِّفات ، وما قد يعرف بـ : (التَّجلِّي العلميِّ).

(٣) وهو التَّجلِّي عبر المخلوقات من دون محوها.

(٤) أُصول الكافي ، ١ / كتاب التَّوحيد/ ٢٥ ـ باب أَنَّه لا يُعرَفُ إِلَّا به / ٦١/ ح١.

وكُلَّما ضعفت إحداهما قويت الأُخرى وبرزت ، ومن ثَمَّ الإخلاص غنيمة لنفس الإنسان ؛ لأَنَّ الإضافة لله إمداد لا انقطاع له ، بخلاف الإضافة إِلى الذَّات المخلوقة ؛ فإِنَّها محدودة ، ومن ثَمَّ كان الإِخلاص عنوان ولغةٌ من لغات الاسم الإلهي ، وهذا هو فلسفة الإخلاص بلغة الذَّوق العقلي.

الفائدة : (٥ / ٨٥)

تمام حقيقة المخلوق حاكويته (حكايته)

هناك قاعدة معرفيَّة خطيرة أُستفيدت من بيان الإِمام الرضا عليه السلام لعمران الصابي[١] حينما سأله : ((... **لم أَرَ هذا إِلَّا أَنْ تخبرني ياسيدي أَهوَ في الخلق أَم الخلق فيه ؟ قال الرضا عليه السلام : جلَّ يا عمران عن ذلك ، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه ، تعالى عن ذلك وساء علمك ما تعرفه به ، ولا قوة إِلَّا بالله ، أَخبرني عن المرآة أَنت فيها أَم هي فيك ؟ فإِن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأَيِّ شيء أستدللت بها على نفسك يا عمران ؟ قال : بضوء بيني وبينها ، قال الرضا عليه السلام : هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أَكثر مما تراه في عينك ؟ قال : نعم ، قال الرضا عليه السلام : فأَرناه ، فلم يحر جواباً ، قال عليه السلام : فلا أَرى النور إِلَّا وقد دلَّك ودلَّ المرآة على أنفسكما من غير أَن يكون في واحد**

---

(١) كان واحداً من المُتكلِّمين .

منكما ، ولهذا أَمثَال كثيرة ، غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً ، ولله المثل الأَعلى...)) [١] ، والقاعدة هي : **((خلق الله المرآة وجعل فيها أسراراً))** أي: من المعارف ، فإِنَّ تمام شراشر الوجود حاكية حكاية صدق ، وليست سراباً [٢] ، إِلَّا أَنَّ قوام وجودها غير مستقل ، وليس لها جبل الأنانيَّة والفرعونيَّة.

والصورة المرآتية ـ وهي الأَمر الخامس ؛ فإِنَّه في الصورة المرآتية لابُدَّ من ملاحظة أُمور خمسة : ١ـ الشاخص الخارجي ـ ذو الصورة ـ ،٢ـ الزجاجة ، ٣ـ الصورة المنطبعة في الزجاجة ، ٤ـ النور الَّذي يوصل الصورة ، ٥ـ الحكاية والأمر الحرفي ، وهذا الأَخير هو المراد بالصورة ومحل البحث والنَّظر ، فبالدِّقَّة ليست الصورة المنعكسة هي الأَمر الثَّالث ، بل الخامس ـ في حين كونها لها واقعيَّة صادقة لكنَّها لا استقلاليَّة لها في الوجود ، فهي مندكَّة فيه ، وغير مستغنية عنه ، ولا يقاس وجودها بوجود القائم بنفسه.

وهذا أَمر مهمٌّ جِدّاً ، وعويصة علميَّة حار فيها أُولو الألباب ؛ وعباقرة الفنون من أهل المعرفة والصوفيَّة وبعض الفلاسفة ، ووقع في الوُهْم والإِشتباه فيها مَنْ وقع ، فلذا ادَّعى بعض العرفاء : الاندكاك والوحدة الشَّخصيَّة الباطلة.

---

(١) عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، ١ / ١٢٢/ الباب ١٢ : ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أَهل الأَديان وأَصحاب المقالات في التَّوحيد عند المأمون.

(٢) خلافاً لِـمَـا تخيلَّه كثيرٌ من الصوفيَّة والعرفاء من أَنَّها سراب .

والحقُّ : أَنَّها حقيقةٌ ظليَّةٌ حاكيةٌ عن ذيها ، لكنَّها قائمة به ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (١) (٢) ، فلذا يُعبَّر عن الصورة المرآتية ـ الأَمر الخامس الآنف الذِّكر ـ أَنَّها ظلٌّ.

فالظلُّ إِذنْ له وجود ، لكنَّه طفيلي وتابع وفانٍ في ذيه ، وليس فيه مثقال ذرَّة من الاستقلاليَّة ، وبالتالي لا يُقوِّم ذاته بذاته ، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٣) .

وهكذا يتَّضح : حال عدم إِستقلاليَّة المخلوقات من خلال ملاحظة حقيقة المعنى الحرفي ، فإِنَّه ما أَنبأ عن معنى في غيره ، فمعناه وحقيقته وهويته منحصرة في الإِنباء عن الغير ليس إِلَّا ، وليس له استقلاليَّة.

---

(١) الفرقان : ٤٥.

(٢) وهذه الآية الكريمة مرتبطة بالتَّوحيد ، وهي من معاقد وقوائم عزِّ القرآن ، والمقصود منها : أَنَّ هذا الوجود ظلٌّ للوجود الأَزلي.

(٣) فصّلَت : ٥٣.

الفائدة : (٦ / ٨٦)

معنى الفناء

إِنَّ للفناء معانٍ ثلاثة :

أحدها: فناء حكاية ، كالمرآة الصافية الَّتي لا تُري نفسها، بل محكيَّها ، كما ورد ذلك في قصة بلقيس ، قال تعالى : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِن قَوَارِيرَ﴾ [١] .

ثانيها : قيام الشيء ووجوده في غيره ، فوجوده وجود حرفي طفيلي.

ثالثها : انعدام وجود الشيء.

والمراد الصحيح من هذه المعاني في جملة من مباحث علوم المعرفة الأَوليان.

الفائدة : (٧ / ٨٧)

أصدق شيء في المخلوق

إِنَّ أَصدق شيء في المخلوق وأَكمله : أَنَّه آيةٌ وحرفٌ ومملوكٌ ومربوبٌ ، وما زاد على ذلك : وَهْم وسراب وتبدُّد ، وليس بحقيقة.

وهذا لا يعني أَنَّ المخلوقَ سرابٌ ؛ وإِنَّما استقلاليَّته عن خالقه ، وتوَهُم هويَّته المُستقلَّة عن هويَّة الآية سراب.

---

(١) النمل : ٤٤.

نعم ، الخالق مَلَّكه ، لكنَّه في ما ملَّكه للمملوك أَملكُ ، فأَيُّ ملكٍ واستقلاليَّة للمخلوق؟!

الفائدة : (٨ / ٨٨)

تجلِّي الإِسم الإِلهي

إنَّ الرَّحمة العامَّة قد تظهر بصورة النقمة ، كما ورد ذلك في بيان قوله عليه السلام : ((**حُفَّت الجنّة بالمكاره ، وحُفَّت النّار بالشَّهوات**))[1] ، فتجلِّي الرَّحمة الأبديَّة صار بالمكاره، وتجلِّي النِّقمة الأبديَّة بالشَّهوات ، وهذا معناه : أَنّ تجلِّي الاسم الإلهي في طبقة غير تجلِّيه في الطَّبقة الأُخرى.

الفائدة : (٩ / ٨٩)

نفي الجسميَّة عن الباري تعالى

إنَّ القائل بجسميَّة الباري تعالى غرَّه جانب القوَّة في الجسم ، ولم يلتفت إلى جانب النقص والعدم فيه.

والحقُّ : أَنَّ الكمالات المُتَّصف بها الجسم يتَّصف بها الباري تعالى ؛ لأَنَّ له سبحانه كمالات كلِّ الأشياء.

وعندما تُنفى عنه الجسميَّة ، والنَّفس ، والرُّوح ، والعقل يُنفى الجانب السلبي ، وهذا النفي يحتاج إلى رهافة ولطافة ودقَّة إدراك.

---

(١) بحار الأنوار ، ٦٧ : ٧٨ . نهج البلاغة ، الخطبة : ١٧٤ . مرآة العقول ، ٨ : ١٣٢/ ح٧.

إذنْ : الحس لا يكون آية وموصلاً للباري تعالى من ناحية سلبياته ، وإِنَّما هو آية من جهة إيجابيَّاته.

الفائدة : (١٠ / ٩٠)

تنزُّه الباري عن الرُّوح

ذهبت كثير من الملل : أَنَّ الباري سبحانه روح الأرواح [١] ، والحال أَنَّه سبحانه مُنزَّه وفوق ذلك وأَعظم منها ، وقوله تعالى : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [٢] ، و﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [٣] ينزهه عن ذلك ، فإِنَّ السِنَة والنوم تعتريان كل ذي روح [٤] .

وعن محمد بن مسلم : قال : ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي﴾ [٥] كيف هذا النَّفخ ؟ فقال عليه السلام : إِنَّ الرُّوح مُتحرِّكٌ كالرِّيح ، وإِنَّما سُمِّيَ روحاً لأَنَّه اشتقَّ اسمه من الرِّيح ، وإِنَّما أَخرجه عن لفظة الرِّيح ؛ لأَنَّ الأَرواح مُجانِسة للرِّيح ، وإِنَّما أَضافه إِلى نفسه ؛ لأَنَّه اصطفاه على سائر الأَرواح ، كما قال لبيتٍ من البيوت : بيتي ، ولرسولٍ من**

---

(١) وهذه النظرية معشعشة في مدارس عقائديَّة عديدة ، والتثليث المسيحي ناشئ من هذا.

(٢) البقرة : ٢٥٥.

(٣) الفرقان : ٥٨.

(٤) على ما نقل ، فلاحظ : تفسير الوسيط ، ١ : ٥٨٤ . وتفسير المنار ، ١ : ٢٥ .

(٥) الحجر : ٢٩.

الرُّسُل : خليلي ، وأشباه ذلك ، وكُلُّ ذلك مخلوقٌ مصنوعٌ مُحدَثٌ مربوبٌ مُدَبَّرٌ)) [١] .

الفائدة : (١١ / ٩١)

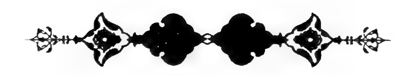
قاعدة : عموم التَّنزيه ونفي التَّشبيه
طبقات التَّشبيه الخفيَّة تَولُّد وتوالد

إِنّ التَّولُّد المنفي عنه سبحانه وتعالى يشمل : حالة تحوُّل شيء عن شيء ، بل ويشمل أَيضاً نفي التَّجانس ، ونفي تلائم الكيفيَّات ـ ومن ثَمَّ ورد في دعاء الصباح لأَمير المؤمنين عليه السلام : **((يا مَنْ دلَّ عَلَى ذاته بِذاته ، وتنزَّه عن مُجانسةِ مخلوقاته ، وجلَّ عن ملاءمة كيفيَّاته))** ـ ولا يقتصر على حالة تبعُّض شيءٍ عن شيءٍ عرضيّاً ، بل يشمل التَّبعيض الطُّولي.

الفائدة : (١٢ / ٩٢)

حكاية المخلوق عن ربِّه

إِنَّ المخلوق يتناهى وينتهي ، لكن حكايته عن ربِّه لا تنتهي ولا تتناهى.



(١) أُصول الكافي، ١ / كتاب التوحيد/ ٤٣ ـ باب الرُّوح / ٩٢ / ح٣.

الفصل الثَّاني

الصِّفات والأَسماء

وفيه : أُمور ثلاث

الأَمر الأَوَّل

مطلق الصِّفات والأَسماء

وفيه : إِحدى وعشرون فائدة

الفائدة : (١ / ٩٣)

مَنْ وصف شيئاً كان أعظم منه

قرَّر أَئِمة أَهل البيت عليهم السلام قاعدة معرفيَّة عظيمة ، وهي: ((أَنَّ من وصف شيئاً بكُنهه كان أَعظم من الموصوف)) ، وهي تنحل إلى قاعدتين :

الأُولى : مَنْ وصف شيئاً بالكُنه فقد أَحاط به.

الثَّانية : مَنْ أَحاط بشيءٍ كان أَعظم منه .

وهذه القاعدة مستفادة من عِدَّة بيانات وحيانيَّة :

منها : ما ورد عن أَمير المؤمنين عليه السلام : ((... مَنْ وصفه فقد حَدَّه ، ومَنْ حَدَّه فقد عَدَّه ، ومَنْ عَدَّه فقد أَبطل أَزله)) [١] .

ومنها : ما ورد عن أَبي جعفر عليه السلام : ((قلت له : جعلت فداك ، أَخبرني عن قول الله (تبارك و) تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [٢] ؟ قال عليه السلام : يا فلان ، فيهلك كلّ شيءٍ ويبقى وجهه ؟ الله أَعظم من أَنْ يوصف ، ولكن معناها : كلُّ شيءٍ هالك إِلَّا دينه ، ونحن الوجه الَّذي يؤتى الله منه)) [٣] .

ومنها : ما ورد عنه عليه السلام أَيضاً : ((...مَنْ حدَّ شيئاً فهو أَكبر منه)) [٤] .

ومنها : ما ورد عنهم عليهم السلام : ((انّ الله تبارك وتعالى لا يوصف ، ورسوله لا يوصف ، والمؤمن لا يوصف ، فمَنْ احتمل حديثهم فقد حدَّهم ، ومَنْ حدَّهم فقد وصفهم ، ومَنْ وصفهم بكمالهم فقد أحاط بهم وهو أَعلم منهم)) [٥] .

والمراد من الإِحاطة في هذه القاعدة أعم من التَّجرديَّة والعقليَّة والجسميَّة [٦] .

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة : ٨٥ .

(٢) الأحقاف : ٣٥.

(٣) بصائر الدرجات ، ١/ ٤ ـ باب في الأَئمة من آل محمَّد عليهم السلام أَنَّهم وجه الله الَّذي ذكره في الكتاب/ ١٤٨/ ح٥ .

(٤) بصائر الدَّرجات ، ١/ الباب ١١ ، في أئمة آل محمد عليهم السلام حديثهم صعب مستصعب / ٦٨/ ح١٥ .

(٥) بصائر الدَّرجات ، ١/ الباب ١١ ، في أئمة آل محمد عليهم السلام حديثهم صعب مستصعب / ٦٧/ ح١٥ .

(٦) ومَنْ أَراد الإِطِّلاع على أَقسام الإِحاطة فليراجع الفائدة : (٥/ ١٢١) .

وعليه : فلا يمكن لمخلوقٍ مهما بلغ أَن يصف الباري بالكُنه ، فأَنَّى لعقول المخلوقات أَن تحيط به سبحانه ، وهذا ورد كتفسير لقوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١) .

نعم ، تصحُّ المعرفة من وجهٍ ، ومن خلال الأَفعال والصِّفات.

وهذه القاعدة لم يُسلِّم بها الفلاسفة ، ولم يقفوا على كُنه حقيقتها.

نعم ، سلَّم بها أَهل المعرفة اقتباساً من بيانات الوحي ، وتفطَّنوا إلى الإِشارات الإِرشاديَّة في بيانات الوحي : من أَنَّ كلَّ معرفةٍ للباري سبحانه لا تخرج عن الظُّهور والتَّجلِّي ، أَي : معرفة بالآيات.

وبنفس البيان ينطبق الحال على معرفة سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ فإِنَّه لا يمكن لبقيَّة المخلوقات أَن تصفه بالكُنه ، كما أَفصح عن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٢) .

وهكذا الحال في معرفة سيد الأَوصياء عليه السلام بعد سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، ومعرفة بقيَّة الأَئمة عليهم السلام بحسب مراتبهم في الحُجِّيَّة والكمال.

ومنه يتَّضح : أَن قوله صلى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام : **((ما عرفني إلَّا الله وأنت))** (٣) أَنَّ معرفة الباري سبحانه بسيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله معرفة بالكُنه ،

---

(١) آل عمران : ٢٨.

(٢) الفرقان :٩.

(٣) مختصر بصائر الدَّرجات : ١٢٥ .

ومعرفة أَمير المؤمنين عليه السلام به صلى الله عليه وآله معرفة بوجه ، أَي : من خلال أفعاله صلى الله عليه وآله وصفاته.

نعم قوله صلى الله عليه وآله أَيضاً : ((ما عرفك إلّا الله وأَنا)) [١] أَنَّ كلا المعرفتين بالكُنه.

الفائدة : (٢ / ٩٤)

مراتب التَّوحيد

إنّ الله سبحانه وتعالى واحد بلا اختلاف الذَّات ولا اختلاف المعنى.

ومن ثَمَّ كانت الصِّفات ـ صفات الفعل والأَفعال ـ والأَسماء مخلوقة ، والمُسمَّى خالق لها ، وهي مملوكة ، والمُسمَّى مالك لها.

وعليه : فإِذا وصف الباري سبحانه بوصفٍ يوجب الكثرة فليس بوصفٍ توحيديٍّ.

الفائدة : (٣ / ٩٥)

الصِّفات لا تعطيل فيها ولا تشبيه

هناك ضابطة للصِّفات الإلهيَّة ذُكرت في الرِّوايات [٢] ، وهي : ((**أَنَّ الصِّفات الإلهيَّة لا تعطيل فيها ولا تشبيه إِنَّما أَمر بين أَمرين**)) ، فمثلاً : صفة الأَوَّليَّة : فهو تعالى أَوَّلٌ بلا أَوَّليَّة له ، فنفس ما يُتصوَّر من الأَوَّليَّة في صفات

---

(١) مختصر بصائر الدَّرجات : ١٢٥ .

(٢) فلاحظ : أُصول الكافي ، ١ / ٣١ ـ باب في إِبْطَال الرُّؤيَةِ / ٦٧ / ح٢ و ٥.

المخلوق هي في صفة الخالق ؛ وإلّا لزم التَّعطيل ، لكن لا بتمام المعنى [١] ؛ وإلّا لزم التَّشبيه ، فإنَّ الحدود الخلقيَّة الموجودة في صفات المخلوق منفيَّةٌ عن صفات الخالق تعالى ، لكن جهات الكمال في صفات المخلوق موجودة في صفاته سبحانه ، فهو سبحانه سميع وبصير لكن لا بآلة.

إذنْ : صفاته تعالى لا تحتاج إلى التَّعلُّق ؛ وإلّا لزمت الحاجة والإفتقار ، فهو عالم إذ لا معلوم.

وهناك ضابطة أَدق ، وهي : ((أَنَّ صفاته تعالى بعضها عين الآخر)) ، فأَوَّليَّته عين آخريَّته ، ووجوده الماضي الأَزلي عين وجوده الباقي السرمدي ؛ ومن ثَمَّ صفاته تعالى تُحيِّر العقول.

الفائدة : (٤ / ٩٦)

لا تناهي الذَّات المُقدَّسة

المراد من عدم تناهي الباري سبحانه : أَنَّ نسبته مع جميع الأشياء واحدة ، فأَوَّليَّته عين آخريَّته ، وآخريَّته عين أَوَّليَّته ، ولا يتصرَّم ولا يتجدَّد فيه

---

(١) وهذا ما يُعبَّر عنه : بالترادف العقلي ، وهو : اتحاد اللفظين أو الألفاظ الكثيرة في جزء المعنى أَو جزء جزء المعنى والافتراق في جزءٍ آخر.

إذنْ : بين صفات الخالق تعالى وصفات المخلوق ترادف عقلي ، لا كما ذهب إليه بعض من الترادف اللغوي ـ وهو الاتحاد بجميع المعنى ـ والافتراق في المصداق ، ولا ما ذهب إليه الآخر من التباين ؛ لأنَّه على الأَوَّل يلزم محذور التَّشبيه ، وعلى الثَّاني التَّعطيل.

شيء ، فأَوَّليَّته لم تتصرَّم ، وآخريَّته لا تتجدَّد ، بل هي حاصلة ، كما أَنَّ أَزليَّته عين أَبديَّته وهما عين سرمدِّيته.

وليس المراد اللَّاتناهي الجغرافي ؛ لأَنَّ فيه تحديداً وتشبيهاً.

هذا ، وذهبت الفلاسفة إلى أَنَّ معناه : لا تناهي مُدَّة وعِدَّة وعُدَّة.

وفيه مسامحة ظاهرة ؛ لعدم إِمكان تصوُّر ذلك ؛ لأَن كينونة الباري الأبديَّة في الماضي هي عين كينونته في الحال والاستقبال ، نظير : نقطة مركز الدائرة إلى نقاط محيطها.

الفائدة : (٥ / ٩٧)

توقيفيَّة الصِّفات

ليس من الصحيح : نسبة كلِّ صفة نعظمها إلى الباري تعالى ، فإِنَّ الوَهْم قد يظنُّ ذلك خطأً ، ولذا شدَّدت بيانات الوحي : أَنَّه لا يصحُّ وصفه تعالى إِلَّا بما وصف به نفسه.

ولهذا ورد في بيانات الوحي ، منها الواردة في قضيَّة المعراج : أَنَّ الملائكة رُبَما تنبهر بعظمة نورٍ مُعيَّن ، أَو بعظمةٍ معيَّنة لنورٍ وتظنُّ أَنَّها للباري سبحانه ، فيأتيها الجواب : أَنَّها لمخلوقٍ ، عن أَمير المؤمنين عليه السلام : **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ... يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا الحواء ولا الجنَّة ولا النَّار ولا السَّماء ولا الأَرض فكيف لا نكون أَفضل من الملائكة ؟! وقد سبقناهم إِلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه ؛ لأَن أَوَّل ما خلق الله عزَّ وجلَّ أَرواحنا**

فأَنطقها بتوحيده وتمجيده ثُمَّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أَرواحنا نوراً واحداً استعظمت أَمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة إِنَّا خلق مخلوق ، وأَنَّه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا ، فلمّا شاهدوا عظم شأننا هللنا ؛ لتعلم الملائكة أَنْ لا إِله إِلَّا الله ، وإِنَّا عبيد ، ولسنا بآلهة يجب أَن نعبد معه أَو دونه ، فقالوا : لا إِله إِلَّا الله ، فلمّا شاهدوا كبر محلنا كبَّرنا ؛ لتعلم الملائكة أَن الله أَكبر من أَن ينال عظم المحل إِلَّا به ، فلمّا شاهدوا ما جعله الله لنا من العزَّة والقوَّة فقلنا : لا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله ؛ لتعلم الملائكة أَنَّه لا حول لنا ولا قوَّة إِلَّا بالله ، فلمّا شاهدوا ما أَنعم الله به علينا وأَوجبه لنا من فرض الطَّاعة قلنا : الحمد لله ؛ لتعلم الملائكة ما يستحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه ، فقالت الملائكة : الحمد لله ، فبنا اهتدوا إِلى معرفة توحيد الله ﷻ وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده...)) [١] .

ومنه يتَّضح : أَنَّ كثيراً من الأَوصاف التي تحسبها أَجيالٌ من الباحثين بأَنَّها ذاتيَّة تبيَّن بعد ذلك : أَنَّها صفات فعليَّة ؛ تحكي الفعل دون الذَّات.

إذنْ : الباحث في باب المعارف في ملحمة تمييزيَّة صعبة ، فلا بُدَّ أن يُميِّز بين النِّسبَة إلى الذَّات بلا واسطة والنِّسبَة بالواسطة.

---

(١) عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، ١ / ٢٦ ـ باب : ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأَخبار النادرة في فنون شتى/ ١٩٣/ ح٢٢.

الفائدة : (٦ / ٩٨)

صِفات الذَّات المُقدَّسة لا تتَّصف بأوصاف المخلوقات

من أُمّهات القواعد والضَّوابط الخطيرة في مبحث الصِّفات ؛ والتي أكَّدت عليها بيانات الوحي : (أنَّ صفات الباري تعالى لا تتَّصف بأوصاف المخلوقات) ؛ وذلك بإطلاقها وعدم الحدِّ لها.

وضابطة إِطلاقها : عدم حكايتها عن ذات مخلوقة ؛ للزوم الكفر ، والجهل ، والتَّشبيه ، والشِّرك الخفي الَّذي لازمه التَّمرُّد والاعتراض عليه سبحانه ، وهو ـ الشِّرك الخفي ـ بالدِّقَّة كفر خَفيٌّ يحبط من درجات الإيمان ، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[١] .

الفائدة : (٧ / ٩٩)

عالم الأسماء والصِّفات

ذهب بعضٌ إلى تَقدُّم عالم الأَسماء على عالم الصِّفات ، وذهب آخر ـ وهو المختار ـ إلى عدم الطوليَّة بينهما ؛ وإِنَّهما من عالم واحد ، ويختلفان باللحاظ والإِعتبار ، ففي عالم الثبوت وإِن كان واقعهما واحداً لكن الأسماء مُتقدِّمة على الصِّفات اعتباراً ، وفي عالم الذهن والإثبات الأَمر بالعكس.

---

(١) يوسف: ١٠٦.

الفائدة : (٨ / ١٠٠)

قاعدة منهجيَّة

هناك قاعدة منهجيَّة مُهمَّة ذُكرت في أَبواب المعارف ، حاصلها : (أَنَّ كُلَّ قاعدة معرفيَّة تجري في الصِّفات الذَّاتيَّة تجري كذلك في صفات الأَفعال والأفعال).

وخذ أَمثلةً على ذلك :

الأول : سورة التَّوحيد : فالمعروف أَنَّها تجري في صفات الذَّات المقدَّسة ، لكن يمكن جريانها في صفات الأَفعال أَيضاً ، بل والأّفعال ، فهو سبحانه : واحد في ذاته ، وواحد في صفاته ، وواحد في أَفعاله ، وهو كذلك : صمدٌ في ذاته ، وصمد في صفاته، وصمد في أَفعاله ، وعلى هذا فَقِسْ.

الثاني : قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [1] ، وهذه الصِّفة المنفيَّة سواء: بلحاظ ذاته المُقدَّسة ، أَو بلحاظ صفاته وأَفعاله.

الثالث : أَنَّ أَهل المعرفة كانوا يصرُّون على حصر إِجراء قاعدة : **((داخل في الأشياء لا بالممازجة خارج عنها لا بالمزايلة))** [2] في أَفعاله سبحانه فحسب ، والحال أَنَّه يمكن جريانها بلحاظ صفات الذَّات وصفات الأَفعال.

---

(١) آل عمران : ١٨٢.

(٢) التوحيد : ٣٦٠ . نهج البلاغة ، صبحي صالح : ٢٧٤ ، الخطبة : ١٨٦ . المشهور ما في المتن ، لكن في المصدر : ((داخل في الأشياء لا بالمزاولة ، خارج عنها لا بالمفارقة)).

الرابع : قاعدة : **((لا جبر ولا تفويض ولكن أَمر بين أَمرين))** [١] واردة في أَفعال المخلوق ، لكن بيان الروايات : أَنَّها شاملة أَيضاً لصفات الـمخلوق وذاته ، فهي تشمل كُلَّ علاقة بين الخالق والمخلوق ولو كانت في أَصل نشأة المخلوق ووجوده ، فأَصل نشأة المخلوق ووجوده كانت باختياره لا بالإِلجاء ، لكن لا بنحو التفويض ، بل أَمر بين أَمرين.

وهكذا العبوديَّة، وعلى هذا فقس.

الفائدة : (٩ / ١٠١)

عدم إحاطة الأسماء بالذَّات الإلهيَّة

إِنَّ الأسماء الذَّاتيَّة لا تحيط بالذَّات المُقدَّسة ، فلذا ورد في الرِّوايات [٢] : أَنَّ هناك بَداء عظيم ، وهناك بَداء أعظم ، وهو ما في عالم الأسماء الذَّاتيَّة ، فتكثُّر الأسماء نوع تبدُّل ، لكنَّه غير مخلوقي ، وإِنَّما هو في عالم الأسماء والتَّجليات ، فإِنَّ لكُلِّ يوم اسماً ، وبتعبير أهل المعرفة: ((دولة الأسماء)) ، ومقصودهم : نفس قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٣] .

وينبغي الإِلتفات : أَنَّ اليوم الإلهي ليس كالأرضي ، ولا السماوي ، ولا القيامة ، ولا الملكوتي وإِنَّما هو أعظم .

---

(١) الكافي ، ١ / كتاب التوحيد/ ٥٢ـ باب الجبر والقدر والأَمر بين الأَمرين/ ١٠٨/ ح١٣.

(٢) فلاحظ : توحيد الصَّدوق ، ٥٤ ـ باب البَداء : ٣٢٦/ ح٩.

(٣) الرحمن : ٢٩.

الفائدة : (١٠ / ١٠٢)

الإسميَّة في الصِّفات

إنَّ لحاظ الإسميَّة في الصِّفة أَعظم من لحاظ الصِّفة بما هي هي.

الفائدة : (١١ / ١٠٣)

عالم الإسماء وعالم النُّور

إنَّ مرتبة الاسم والأَسماء الإلهيَّة فوق مرتبة وعالم النُّور.

الفائدة : (١٢ / ١٠٤)

صفات الذَّات والاسم

إنَّ الوصف إذا ورد في القرآن الكريم مقروناً بـ (ذي) كان وصفاً للذَّات الإلهيَّة، وإن كان مقروناً بـ (ذو) فهو وصفٌ للاسم الإلهي .

مثال الأَوَّل : قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١) .

مثال الثَّاني : قوله تعالى : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢) .

لكن ، **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ صفات الذَّات يتَّصف بها الاسم أَيضاً ، لكنَّه بالتَّبع ، فالذَّات غير متناهية فكذا الاسم ؛ لأَنَّه مرآة صافية ، ولقوَّة انعكاسها تأخذ وصف ذيها وجماله ، ومن ثَمَّ وصف : ﴿الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تارة

---

(١) الرحمن : ٧٨.

(٢) الرحمن : ٢٧.

يكون للمسمى وأخرى للاسم ، ولأجل ذلك يُعبِّر أهل المعرفة عن الصوادر الأُوَل ـ اقتباساً ممَّا ورد في روايات المعارف ـ بـ : ((الفيض [(١)] الأقدس)) [(٢)] .

وبالجملة : إنَّ مقتضى القول بحاكويَّة الصِّفات الذَّاتيَّة ـ وهو المختار ـ تكون الصِّفات الذَّاتيَّة صفات للأسماء الإلهيَّة.

الفائدة : (١٣ / ١٠٥)

الصوادر الأُوَل

يُعبَّر عن الصوادر الأُوَل بـ : ((الإنيَّات المحضة)) ، أي : كأنَّ وجودهم لا تخالطه ماهيَّة محُدَّدة ، ومن ثَمَّ تكون أَسماء إلهيَّة ؛ فلا تُلحظ فيها ماهيَّة محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وإنَّما حميد وعلي وفاطر ومحسن وقديم الإحسان ، فتضمحل فيها الماهيَّة وجنبة المخلوقيَّة ؛ لشدَّة حكايتها ، وتشتدُّ جنبة الحكاية والآية والصِّفة والاسم ، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [(٣)] ، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

---

(١) أي : المخلوق .

(٢) أي : لا يشوبها سمة المخلوقيَّة.

(٣) الإسراء : ١١٠.

إنَّ اللَّام في الآية الكريمة : [فَلَهُ] لام المُلك ، أَي : إِنَّ الأَسماء الإلهيَّة مملوكة له سبحانه وتعالى، ومن الواضح : أَنَّ المالك غير المملوك. وكذا الحال في الآية التالية ، فلاحظ.

أَسْمَائِهِ﴾[١] ، وقال تقدَّس ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾[٢] ، فهي أبواب الله ، والذي يحيد عنها يحيد عن الله.

وأَصحاب الطَّبقة الاصطفائيَّة الثانية ـ كأَبي الفضل العباس وعلي الأكبر وحمزة وجعفر وزينب وآمنة وخديجة عليهم السلام ـ أبواب الأبواب وآية الآية ، ودعاؤهم دعاء الله ، فمن دون الآية كيف يصل المخلوق إلى خالقه؟!

الفائدة : (١٤ / ١٠٦)

اسميَّة الاسم الإلهي بحكايته

إِنَّ اسميَّة الاسم الإلهي بحرفيَّته وحكايته لا بذاته ، أي : بالحمل الأَوَّلي دون الشائع[٣] ، كالمرآة : فعندما يُنظر إليها يُغفل عنها ، ويكون النظر إلى محكيِّها.

فإذا نظرت بالإِسم للمحكي دون الحاكي صارت إِرائته ـ الاسم ـ تامَّة.

وهناك بحوث صعبة وخطيرة في مثال المرآة[٤] .

---

(١) الأعراف : ١٨٠.

(٢) فصلت : ٤٠ .

(٣) **والفرق بينهما** : أَنَّه إذا لوحِظ شخص المفهوم ذهناً أَو خارجاً سُمِّي الحمل بالشائع ، وإِن لوحِظت فيه الحكاية سمي الحمل بالأَوَّلي.

هكذا ينبغي أَن يكون ، لكن عِدَّة من المناطقة حصل لهم خلط فعكسوا المسأَلة.

(٤) مَنْ أَراد الإِطِّلاع على نموذج من تلك البحوث فليراجع الفائدة : (٥ / ٨٥).

الفائدة : (١٥ / ١٠٧)

تَقدُّم الاسم المستتر

إِنَّ المستفاد من المصحف الشريف: أَنَّ الاسم المستتر (هو) مُقدَّم وفوق اسم (الله) ؛ لتقدُّمه في الآيات الكريمة ، كما ورد ذلك في بيان قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [(١)] ، وهو ـ أَي اسم (الله) ـ مُقدَّم على مقام الأَحديَّة، خلافاً لأَهل المعرفة حيث قدموها عليه.

الفائدة : (١٦ / ١٠٨)

نسبة صفة الذَّات إلى الاسم

إِنَّ الصِّفة الإلهيَّة إذا نُسِبَت إلى الاسم الإلهي فليس في ذلك غلو ؛ لأَنَّه يرجع إلى توصيف الذَّات ، كما ورد ذلك في بيان قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [(٢)] ، فوقع وصف : ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الذي هو من أوصاف الذَّات المُقدَّسة وصفاً للاسم.

---

(١) الإخلاص : ١ .

(٢) الرحمن : ٢٦ـ٢٧.

الفائدة : (١٧ / ١٠٩)

التّعايش القلبي مع الأسماء الإلهيّة

إِنَّ التَّعايش القلبي والوجداني مع الأسماء الإلهيَّة من أَصعب الأُمور لاسيما الإِرتباط بها.

وكذا حال الارتباط بأَهل البيت عليهم السلام ومودتهم ، فإِنَّ كثيراً من القلوب يصعب عليها ذلك ، وإذا حصلت له درجة صعبت عليه الأَعلى ، وهذا عبارة عن تجوهر ذات الإنسان بولايتهم عليهم السلام .

الفائدة : (١٨ / ١١٠)

صفة ﴿لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

إِنَّ صفة : ﴿لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أَعظم من صفة : ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [(١)] ؛ لأَنَّها تنفي: الشريك ، والمحاذي ، والضِّد (المعاند) في كلِّ الطبقات ، فتنفي الشرك الخفي كالجلي ، قال تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [(٢)] ، والشرك في مقام التشريع ، قال عزَّ مَنْ قائل: ﴿اتَّخَذُوا

---

(١) الفرق بين نفي الكفو ونفي الشَّريك : أَنَّ الثَّاني ينفي الشرك في مقام الذَّات والماهيَّة ، أَمَّا الأُوَّل فيشمل نفي النِّد على صعيد الصِّفة والفعل والبقاء فضلاً عن الذَّات.

(٢) يوسف : ١٠٦.

﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [١] ، والشرك في مقام الرجاء : فمن رجى من مخلوق بما هو هو ما يرجوه من الله فقد جعل له كفواً ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [٢] .

وهذا بخلاف ما إذا رجى من مخلوقٍ مُكرَّم عند الله كوجه وآية واسم وباب لله تعالى فقد وحَّد الله ، قال تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [٣] ، فالدعاء من دون الله ، يعني : من دون سبيل الله ، ومن دون الباب الَّذي أَمر الله بإتيانه ، وعلى هذا فقس.

الفائدة : (١٩ / ١١١)

الأحديَّة والواحديَّة

إِنَّ الأحديَّة تعني : نفي الأَجزاء.

والواحديَّة تعني : نفي التَّكرار ، والشَّريك ، والعدد ، أَي : التَّعدُّد.

---

(١) التوبة : ٣١.

(٢) الحج : ٧٣.

(٣) الإسراء : ١١٠.

وبالدِّقَّة : كلا المعنيين يرجعان لقاعدة : (صرف الشَّيء لا يتثنَّى ولا يتكرَّر ولا يتجزَّأ) [(١)] ، فكينونة أَوَّليَّته تعالى عين آخريَّته ، وآخريَّته عين أَوَّليَّته، فلا يتصرَّم ولا يتولَّد منه شيء ، ولا يتجزأ ، فكلُّه في كلِّه.

الفائدة : (٢٠ / ١١٢)

صفة الصَّمد

إِنَّ للصَّمد معانٍ عِدَّة :

منها : أَنَّه سبحانه لا جوف له ، عن أَبي عبد الله عليه السلام : **((في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [(٢)] قال : إِنَّ الله تبارك وتعالى أَحدٌ صمدٌ ، والصَّمد : الشيء الَّذي ليس له جوف ، وإِنَّما الرُّوح خلق من خلقه له بصر وقوَّة وتأييد ، يجعله الله في قلوب الرُّسل والمؤمنين))** [(٣)] .

فحقيقته تعالى : لا انحسار فيها ولا تزايل ولا زوال ولا ارتفاع.

---

(١) **مضمون القاعدة** : أَنَّ التكرار والتثنية ممتنعان عقلاً ؛ لأَنَّ فرضهما : أَن يكون الشيء محدوداً ، والحال أَنّ صرف الشيء بالمعنى المطلق ليس بمحدود.

(٢) الإِسراء : ٨٥ .

(٣) بصائر الدرجات ، ٢/ ١٨ ـ باب الرُّوح التي قال الله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أَنَّها في رسول الله وأَهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) يسدِّدهم ويوفّقهم ويفقِّههم/ ٣٧٦/ ح [١٦٣٧] ١٢.

ومنها : أَنَّه لا يمكن لأَحد ـ حتَّى أَهل الباطل ـ أَن يصمد ويتوجَّه ويستمدَّ إِلَّا منه سبحانه ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ (١) ، وقال تقدَّس ذكره : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢) ، وعن جابر بن يزيد الجُعْفِيِّ قال : **((سأَلتُ أَبا جعفر عليه السلام عن شيءٍ مِنَ التَّوحيد ، فقال : إِنَّ الله تباركت أَسماؤُهُ الَّتي يُدْعَا بها وتعالى في عُلُوِّ كُنْهِهِ واحدٌ تَوَحَّدَ بالتَّوحيد في توحُّده ، ثُمَّ أَجراه على خَلقِهِ ، فهو واحدٌ ، صمدٌ ، قُدُّوسٌ ، يَعْبُدُهُ كُلُّ شيءٍ ، ويَصمدُ إِليه كُلُّ شيءٍ ، ووسع كُلَّ شيءٍ علماً))** (٣) .

ومنها : نفس معنى بيان قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٤) .

ومنها : أَنَّ نهاية اللِّقاء له سبحانه ، وليس هناك توجُّه واستمداد من غيره.

وهذه القضيَّة غير قابلة للخطأ ، وإِنَّما الخطأ يحصل في السلوك ، فالمطيع يتوجَّه إليه سبحانه من خلال أَسماء الجمال كالرَّحمن ؛ فيسلك الصِّراط

---

(١) النور : ٣٩ .

(٢) الزُّمر : ٣ .

(٣) أُصول الكافي ، ١ / كتاب التَّوحيد / ٤٠ ـ باب تأويل الصَّمَدِ / ٨٥ / ح٢ .

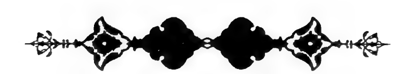
(٤) البقرة : ١١٥ .

المستقيم ، والعاصي يتوجَّه إليه من خلال أَسماء الجلال كشديد العذاب ؛ فيسلك طريق الجحيم ، قال تعالى : ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (١) فالصِّراط صراطان : صراط المستقيم ، وصراط الجحيم ، وقال تقدَّس ذكره : ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢) ، فلذا ورد : أَنَّ الصَّوت الَّذي خرج من عجل بني إسرائيل هو من الله ؛ فتنةً وامتحاناً.

الفائدة : (٢١ / ١١٣)

عظمة التَّوحيد

إِنَّ عظمة المعرفة بالتَّوحيد وبالله : أن نُسلِّم له سبحانه في حكمة غايات أَفعاله ممَّا وراء القضاء والقدر، ((**كيف رأيتِ صنع الله بأَخيكِ ؟ ما رأيت إلَّا جميلاً**)) ، فروح العقيلة عليها السلام ترى الجمال في مشهد كربلاء ، لكنَّها في نفس الوقت ترى المأساة من جانب فعل البشر ، فلها باصرتان.



---

(١) الصافات : ٢٣.

(٢) الإسراء : ٢٠.

الأَمر الثَّاني

الصِّفات الذَّاتيَّة

وفيه : ثلاث فوائد

الفائدة : (١ / ١١٤)

مبنيان في الصِّفات الذاتيَّة

توجد في الصِّفات الذاتيّة الإلهيَّة في مدرسة الإماميَّة نظريتان :

الأولى : ما ذهب إليه الفلاسفة والمتكلِّمون : أَنَّها عين الذَّات تحقُّقاً.

الثانية : ما ذهب إليه أَهل المعرفة ـ وهو المختار ـ : أَنَّها عينها حكاية ، فهي مرآة للذات المُقدَّسة فحسب ، كما في الصِّفات الفعليَّة ، فكلاهما فعل الله ، لكن الأولى لا تُري إلَّا الذات المُقدَّسة ، بخلاف الثانية فإِنَّها تُري الذات وقد شابها ـ الاراءة والحكاية ـ الفعل.

وكلتاهما تظهر من بيانات الوحي.

لكن : ظهور الأُولى ابتدائي ، كما ورد ذلك في بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : **((إِنَّ الله عِلمٌ لا جهل فيه ، وحياةٌ لا موت فيه ، ونورٌ لا ظلمة فيه))** [1] ، وما

---

(١) توحيد الصدوق ، باب العلم / ١٣٣ / ح١١ .

ورد في بيان الإمام الرضا عليه السلام ، عن يونس بن عبد الرحمن ، قال : ((**قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : روّينا أَنَّ الله علم لا جهل فيه ، حياة لا موت فيه ، نور لا ظلمة فيه ، قال عليه السلام : كذلك هو**))[١] .

وظهور الثانية فوقيٌّ ، كما ورد ذلك في الخطبة الأُولى من نهج البلاغة : ((**... وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصِّفات عنه ، لشهادة كلِّ صفةٍ أَنَّها غير الموصوف ، وشهادة كلِّ موصوفٍ أَنَّه غيرُ الصِّفة ، فمَنْ وصف الله سبحانه فقد قَرَنَه ، ومَنْ قَرَنَه فقد ثنَّاه ، ومَنْ ثنَّاه فقد جَزَّأَه ، ومَنْ جَزَّأَه فقد جهله ، ومَنْ جهله فقد أشار إليه ، ومَنْ أشار إليه فقد حَدَّه ، ومَنْ حَدَّه فقد عَدَّه ...**)) ، وعن الإمام الباقر عليه السلام : ((**... موصوفٌ بالآيات ، معروفٌ بالعلامات ...**))[٢] .

وهذا الاختلاف ليس بإِغراءٍ ، بل بيان الصحيح والأَصح ، والحقِّ والأحق ، بمعنى أنَّ الإلمام بالحقيقة درجات.

وهناك ضابطتان للصِّفات الذَّاتيَّة على كلا النظريتين :

الأولى : أَنَّ الصِّفات الذَّاتيَّة لا يمكن سلبها عن الذَّات ، بخلاف الصِّفات الفعليَّة ـ إِن لم تكن من أُمهات الصِّفات الفعليَّة ، كالقيُّوميَّة ـ فالرازقيَّة والخالقيَّة يمكن سلبها ، فيقال : إِنَّ الله رزق فلاناً ولداً ولم يرزقه مالاً ، وخلق كذا ولم يخلق كذا.

---

(١) توحيد الصدوق ، باب العلم / ١٣٣ / ح١٢ .

(٢) أُصول الكافي ، ١ / كتاب التَّوحيد / ٣١ ـ باب في إبطال الرُّؤيَةِ / ٦٩ / ح٥ .

الثانية : أَنَّ الصِّفات الذاتيَّة بعضها عين الآخر ، بخلاف الصِّفات الفعليَّة ، فأَوليَّته سبحانه عين آخريَّته ، وباطنيَّته عين ظاهريَّته ، كما جاء ذلك في دعاء رجب: **((يا باطناً في ظهوره ، ويا ظاهراً في بُطُونه ومكنونه))** (١) ، وهذا بخلاف الباسط فإِنَّه غير الغافر.

الفائدة : (٢ / ١١٥)

لا تفاوت في الصِّـفات الذَّاتيَّة

إنَّ صفات الذَّات المُقدَّسة لا تفاوت فيها ، فعلمه سبحانه بأَكبر مخلوقاته كعلمه بأَصغرها ، وقدرته على أَقوى مخلوقاته كقدرته على أضعفها ، بخلاف صفات المخلوق الذَّاتيَّة، قال تعالى : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (٢) ، وورد في الدعاء : **((يا مَنْ لا يشغله إلحاحُ الملحين))** (٣) ، و: **((يا مَنْ لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ))** (٤) .

لكن ، هذا لا يعني عدم تفاعل المخلوق مع خالقه.

إذنْ : المعلوم والمقدور عليه يختلف ، لكنَّ العلم والقدرة لا تختلف.

---

(١) مفاتيح الجنان : ١٧٣.

(٢) لقمان : ٢٨.

(٣) بحار الأنوار ، ٩٥ : ٦٦. الاقبال : ٢٣٤.

(٤) مفاتح الجنان ، التعقيبات العامة : ٣٥.

نعم ، الصِّفات الفعليَّة للذَّات المُقدَّسة تختلف وتتفاوت ؛ لمحدوديَّة الفعل وإن كانت استفاضته واستمداده من الذَّات المُقدَّسة غير محدود.

هذا ، وقد خلطت اليهود والأشاعرة ووسوسة كُلّ البشر بين الذات وصفاتها من جهة وبين الفعل وصفاته ، ومن ثَمَّ قالوا : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [(١)] ، والحال أَنَّ صفاته تعالى حالها: ((**لا تعطيل ولا تشبيه إنَّما إثبات وتوحيد**)) ، وهذه القاعدة مستفادة من بيانات الوحي ، كما ورد ذلك في بيان الإمام الصادق عليه السلام : ((**فلا نفي ولا تشبيه ، هو الله الثابت الموجود**)) [(٢)] .

الفائدة : (٣ / ١١٦)

المبنى المختار في الصِّفات الذَّاتيَّة

إنَّ المبنى الصحيح والمختار في الصِّفات الذَّاتيَّة : أَنَّها مخلوقةٌ ، لكن لا يلزم منه خلو الذَّات المُقدَّسة من الكمالات ، بل هي أكمل ، وجامعة لصفات الكمال ، ويترشح كمالها ـ الذَّات المُقدَّسة ـ عليها ـ على الصِّفات ـ .

والوجه : أَنَّ الصِّفات لـمَّا كانت تتَّصف بالكثرة ـ فإنَّ الكمال الموجود في الصِّفة الواحدة لا يستوعب جميع الصِّفات ـ دلَّ ذلك : أَنَّ لها حدوداً وإن لم تكن مخلوقيَّة، فإنَّ الأوَّل غير الآخر ، والسميع غير البصير ، وهكذا ، وهذا نمط من المحدوديَّة ، وهو منفيٌّ عنه تعالى.

---

(١) المائدة : ٦٤.

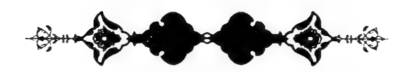
(٢) توحيد الصدوق : ١٠٢.

ويضاف إليه : ما ورد في بيانات الوحي الوافرة ، منها : ما في بيان مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: **((أوَّل الدِّين معرفتُهُ ، وكمال معرفته التَّصديق به ، وكمال التَّصديق به توحِيدُهُ ، وكمال توحِيدِهِ الإخلاصِ له ، وكمال الإخلاصِ له نفي الصِّفات عنه ، لشهادة كُلِّ صِفةٍ أَنَّها غَيرُ الموصوف ، وشهادةِ كُلِّ موصوفٍ أَنَّه غيرُ الصِّفة ، فمَنْ وصف اللهَ سبحانه فقد قَرَنَهُ ، ومَنْ قَرَنَهُ فقد ثَنَّاهُ ، ومَنْ ثَنَّاهُ فقد جزَّأَه ، ومَنْ جزَّأَه فقد جهله ، [ومَنْ جهله فقد أشار إليه] ، ومَنْ أشار إليه فقد حَدَّهُ ، ومَنْ حَدَّهُ فقد عَدَّهُ))** [(١)] .

وسميَّت ذاتيَّة : لأَنَّها تُري وجهاً من وجوه الذات الأزليَّة ، وفانية فيها فناء حكاية ، فلا تُري نفسها ، بل محكيَّها.

وهي وإِن كانت من حيث التَّحقُّق: هو هو وهي هي ، لكنَّها من حيث الحكاية : هو هي وهي هو ، كالصُّورة المنطبعة في المرآة [(٢)] .

ومنه يتَّضح : فساد تسمية الباري تعالى بـ : ((علَّة العلل)) أَو ((واجب الوجود)) وما شاكلها ؛ فإِنَّها صفات منزه عنها سبحانه ، قال تعالى : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [(٣)] .



(١) نهج البلاغة/ الخطبة الأولى.

(٢) مَنْ أَراد الإِطِّلاع على حقيقة الصُّورة المرآتيَّة ، والمراد منها فليلاحظ الفائدة : (٥ / ٨٥).

(٣) الأنعام : ١٠٠.

الأَمر الثَّالث
الصِّفات الفعليَّة

وفيه : خمس فوائد

الفائدة : (١ / ١١٧)
طبقات علم الله الفعلي

إِنَّ لعلم الله الفعلي طبقات منها [١] :

١ـ الهواء ، عن أَبي جعفر عليه السلام : ((... وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [٢] وذلك في مبتدأ الخلق ، إِن الرَّبَّ تبارك وتعالى خلق الهواء ، ثُمَّ خلق القلم فأمره أن يجري ، فقال : يا رب بما أجري ، فقال : بما هو كائن ، ثُمَّ خلق الظلمة من الهواء ، وخلق النور من الهواء ، وخلق الماء من الهواء ، وخلق العرش من الهواء ، وخلق العقيم من الهواء ، وهو الرِّيح الشَّديد ، وخلق النَّار من الهواء ، وخلق الخلق كلّهم من هذه الستة الَّتي خلقت من الهواء ، فسلط العقيم على الماء فضربته ، فأكثرت الموج

---

(١) وهذا ليس على سبيل الاستقصاء والحصر.

(٢) هود : ٧.

والزبد، وجعل يثور دخانه في الهواء ...)) [(١)].

٢- العرش، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [(٢)].

٣ـ الكرسي، قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [(٣)].

٤ـ الهواء، عن أبي عبد الله عليه السلام: ((... وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب عند الهواء الَّذي تَحارُ فيه القلوب كحلقة في فَلاة قيّ...)) [(٤)].

٥ـ حجب النور، عن أَبي عبد الله عليه السلام: ((...وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال برد عند حجب النور كحلقة في فَلاة قيّ، وهي سبعون أَلف حجاب يذهب نورها بالأَبصار...)) [(٥)].

٦ـ أُم الكتاب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [(٦)].

٧ـ اللَّوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [(٧)].

---

(١) تفسير القمي، سورة هود: ٢٩٩.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) توحيد الصدوق رحمه الله، باب: ذكر عظمة الله جل جلاله: ٢٦٩/ ح١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الزخرف: ٤.

(٧) البروج: ٢١، ٢٢.

٨ ـ القلم ، قال تعالى : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) .

٩ـ الكتاب المبين ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٢) .

١٠ـ جبال برد ، قال تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣) .

١١ـ البحر المكفوف ، عن أَبي عبد الله عليه السلام : ((... وهذه السبع ومن فيهنَّ ومن عليهنَّ عند البحر المكفوف عن أَهل الأَرض كحلقة في فلاة قيّ...)) (٤) .

١٢ـ الأُفق المُبين ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٥) .

١٣ـ الثرى ، قال تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦) .

١٤ـ الطُّور ، قال تعالى : ﴿وَالطُّورِ﴾ (٧) .

---

(١) القلم : ١ .

(٢) يونس : ٦١ .

(٣) النور : ٤٣ .

(٤) توحيد الصدوق رحمه الله ، باب : ذكر عظمة الله جل جلاله : ٢٦٩ / ح١ .

(٥) التكوير : ٢٣ .

(٦) طه : ٦ .

(٧) الطور : ١ .

١٥ـ الرَّق المنشور ، قال تعالى : ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ (١) .

١٦ـ البحر المسجور ، قال تعالى : ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (٢) .

وغالب الأَنبياء عليهم السلام يُخبرون وينبؤون من الثَّالث ، بخلاف الثَّاني ، فلا يطَّلع عليه الغالب.

الفائدة : (٢ / ١١٨)

كمالات المخلوق في الخالق

من القواعد العقليَّة المهمَّة التي ذكرها أَهل البيت عليهم السلام (٣) قاعدة : (أَنَّ كلَّ كمالٍ في المخلوق ثابتٌ لدى الخالق ، لكن لا على نحو التَّحدُّد) ، فالله حي، لكنَّه لا كبقيَّة الأحياء ، وشيء لا كالأَشياء.

وعَجْزُ هذه القاعدة مستفاد من قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٤) .

---

(١) الطور : ٢، ٣ .

(٢) الطور : ٤، ٦ .

(٣) أُصول الكافي ، ١/ كتاب التوحيد/ ٣٢ـ باب النَّهي عن الصِّفة بغير ما وصف به نفسه تعالى/ ٧١ / ح٣.

(٤) الشورى : ١١ .

الفائدة : (٣ / ١١٩)

غـائـيـَّة الـخـالـق

إنَّ غائيَّة الخالق سبحانه تختلف عن غائيَّة المخلوق ، فغائيَّته تعالى : أَنَّ الكلَّ يتوجَّه إليه وإن كان كافراً أَو ملحداً [١] ، شعر بذلك أَم لا ؛ فإنَّ مَنْ فرَّ من الله كرَّ إليه.

نعم ، المطيع يتوجَّه إليه سبحانه من خلال أَسماء الجمال كالرحمن ، بخلاف العاصي ، فإنَّه يتوجَّه من خلال أَسماء الجلال والعذاب كالمنتقم ، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [٢] ، وقال سبحانه : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [٣] ، وقال تقدَّس ذكره : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٤] إلَّا أَنَّه تارة وجه رحمة وأُخرى وجه عذاب ، ومن ثَمَّ فصَّل الباري سبحانه بعد التَّعميم في قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [٥] ، قال تقدَّس ذكره : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا

---

(١) لكن الطريق يختلف ، لا كما ظنَّه ابن عربي والعرفاء والصوفيَّة.

(٢) مريم : ٩٣.

(٣) الإسراء : ٥٧.

(٤) البقرة : ١١٥.

(٥) الفاتحة : ٦ ، ٧.

وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (١) .

إذنْ : العصاة في معاصيهم وإن ظنُّوا الهروب من حكومة الله ﷻ إلَّا أَنَّهم بمعاصيهم يتوجَّهون إِليه سبحانه من وجه العذاب والنقمة والجلال ، فالعاصي ينقهر أَمامه سبحانه بأَسماء الجلال ، والمطيع ينقهر من خلال أَسماء الجمال . فالكُلُّ يلوذ ، لكن : ملاذ العاصي بئس الملاذ ، وملاذ المطيع نعم الملاذ.

نعم ، هناك تفسير آخر للغاية لا بأس به ، وهو : أَنَّ المنحرف ـ كعابد الوَثن أَو عابد الشيطان ـ إذا دققنا النَّظر في عبادته نجده ينطلق من نزعةٍ فطريةٍ صحيحةٍ وسليمةٍ ، وهي : الفقر والإِستمداد من القدرة أَللَّا محدودة وهي (الذَّات الإِلهيَّة) ، إلَّا أَنَّه بدَّد وفرَّط بهذا المال الفطري الثمين ، وسلك طريقاً غاوياً ، فمثلاً : الذي يلتجئ إلى الكهنة ينطلق من فطرة سليمة ؛ وأَنَّه لابُدَّ أن تكون هناك واسطة بينه وبين باريه سبحانه ، إِلَّا أَنَّه أَخطاء في الواسطة ، وانحرف عن المنصوبة منها من قِبَل الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) ، ومن ثَمَّ نرى القرآن الكريم لا يحارب ولا يفنِّد أَصل منهج

---

(١) الصَّافات : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) الروم : ٣٠ .

التَّوسل بالوسيلة والوسائط ، بل يحثُّ على الحقَّة منها ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (١) ، وإنَّما يحارب المبتكرة من المخلوقين من عند أنفسهم : قال تعالى: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (٢) .

ثُمَّ إنَّ هناك ملازمة بين العقيدة والأخلاق : فكذب العقيدة كذبٌ في الأخلاق ، والعكس بالعكس ، وهذا هو معنى : أَنَّ كُلَّ شيءٍ بالولاية.

الفائدة : (٤ / ١٢٠)

الإمساك الإلهي

إنَّ المراد من الإمساك في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (٣) ليس الإمساك الجسماني، بل الهيمنة والقدرة ؛ لأَنَّ المدد منه تعالى ، فالمدد لا ينقطع عن المُمَد ولا يستقل بحيازته.

---

(١) المائدة : ٣٥.

(٢) الأعراف : ٧١.

(٣) فاطر : ٤١.

الفائدة : (٥ / ١٢١)

الإحـــاطـــة

إِنَّ الإِحاطة على أَنحاء ثلاث :

الأَوَّل : الإِحاطة الماديَّة الجغرافيَّة ، وتحيط بالسطح فحسب ، كإِحاطة الكرة الكبيرة بالصغيرة ، ومجالها : إذا كان المحيط من الأجسام الغليظة.

الثَّاني : الإِحاطة الماديَّة غير الجغرافيَّة ، كإحاطة الأشعة البنفسجية أَو الحمراء أَو ما فوقها أَو ما تحتها بالأَجسام الغليظة ، وهي تحيط بالباطن والظَّاهر ، لكنَّها تبقى ماديَّة وجسمانيَّة ولها مقدار.

الثَّالث : الإِحاطة التَّجرُّديَّة ، وهي تتصوَّر في المحيط إِذا لم يكن من الأَجسام ، فتكون نِسْبَة المحيط إلى كلِّ المحاط ظاهره وباطنه نِسبَة واحدة ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١] أي : قربه وقدرته وهيمنته على المخلوقات بنسبة واحدة لا تتبعض ، فهو سبحانه : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٢] .

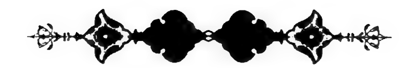
فالنِّسب بلحاظ الذَّات الإِلهيَّة ـ أَي: نسبة المخلوقات إِليها ـ تتوحَّد ؛ فلا يغيب شيء عنه تعالى ، بل الكلُّ في حضور واحد لديه تعالى.

---

(١) طه : ٥.

(٢) الإخلاص : ٣.

إذنْ : النِّسبَة بين الشيء الواحد والأَشياء الكثيرة إذا كانت واحدة ولم تختلف فالإِحاطة منه لها تجرُّديَّة وإلَّا فماديَّة ، وفي المجرَّدات لا توجد أبداً نسب متكثرة لما هو دونها ، قال تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[1] .



(١) النساء : ١٢٦ .

الفصل الثَّالث

الأفعال الإِلهيَّة

البحوث التفصيليَّة لعالم التَّكوين

وفيه : تسع فوائد

الفائدة : (١ / ١٢٢)

تنزُّه الذَّات الإِلهيَّة عن المباشرة

إنَّ الإِحياء والإِماتة والوحي بدرجاته النَّازلة والمتوسطة لا يمكن أَن تتمّ إلَّا بالملابسة.

وقد تصوَّر بعضٌ : أَنَّ إسناد ذلك للباري تعالى بلا واسطة هو قمَّة في التَّوحيد ، لكنَّه فاسد ؛ للزوم التَّشبيه والتَّجسيم ؛ لأَنَّ الملابسة لا تتمّ إلَّا من خلال المحاذات الجغرافيَّة الماديَّة الغليظة ؛ أَو اللَّطيفة بدرجاتها المتقاربة في اللَّطافة ، كما في الجسم الرَّقيق للرُّوح ، والباري تعالى منزه عنها .

نعم ، القدرة عليها منه سبحانه لا من الواسطة.

الفائدة : (٢ / ١٢٣)

فعل المخلوق

بالدِّقَّة : إِنَّ كلَّ عملٍ يقوم به المخلوق ليس هو فاعلاً له استقلالاً وفاعلاً للفيض حقيقة ، بل قابلٌ ، والفاعل حقيقةً وصاحب المشيئة والتَّقدير هو الباري سبحانه ، قال تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [١] أي : ليس هناك على الله من حاكم.

ومشيئته سبحانه قد تكون مع محبته ، وقد تكون مع كراهته.

نعم ، الشرور من المخلوق ؛ لأَنَّها أَعدامٌ.

الفائدة : (٣ / ١٢٤)

حاجة المخلوق لخالقه

إِنَّ حال المخلوق : لا يختلف في مسيس حاجته للباري تعالى مثقال ذرَّة؛ بين أَصل وبداية وجوده وبين بقائه واستمراره.

بل ، ذهب بعض أهل المعرفة : إلى عدم وجود اتِّصال وحركة عرضيَّة أَو جوهريَّة أَو عقليَّة في المخلوقات ، وإِنَّما هو تواصل وتجدُّد أَمثال ، وفيض وجودي من الباري تعالى يرى المخلوق نفسه من خلاله مُستمرّاً ، لكنَّه في

---

(١) الأنبياء : ٢٣.

الواقع ليس شخصاً واحداً ؛ فإِنَّ ما عداه سبحانه ومضات مُتَّصلة ، لكن : لدقَّة فواصلها لا يمكن تمييزها وإدراكها [١] .

ولتقريب الفكرة لاحظ المثالين التاليين :

الأوَّل : إذا لاحظنا صورة التلفاز لوجدناها متحرِّكة ، والحال أَنَّ واقعها غير ذلك؛ فإِنَّها عبارة عن مجموعة صورة منفكَّة عن الحركة ، بُثَّت في الثانية الواحد ما يقارب مائة صورة ، بحيث لا يمكن للباصرة القدرة على ملاحظة الفواصل ، فلسرعة توارد الصُّور وعدم تمييز الفواصل انخدعت الباصرة وظنَّت أَنَّها مُتحرِّكة.

الثاني : الشعلة الجَوَّالة ، وهي : إذا جُعلت جمرة متوهِّجة في ظرف ودير بها بسرعة ؛ لرآها النَّاظر من بعيد أَنَّها دائريَّة ؛ فلسرعة الصُّور التي تأتي إلى العين لا تُميَّز الفواصل.

ومن هذا يُعلَم : أَنَّ الحسَّ لا يمكن أَن يُعتمد عليه دائماً ، ولتوضيح ذلك لاحظ الأَمثلة التَّالية :

الأَوَّل : ثبت في العلم الحديث : أَنَّه لا حقيقة لبعض الكواكب التي تُرى في السماء؛ فإِنَّها فنيت قبل ملايين السنين الضوئيَّة ، نعم ، الآن وصلت صورها.

الثَّاني : الناظر إلى المجرَّات يراها كرأس إبرة ، والحال أَنَّها مهولة.

---

(١) أَهل المعرفة يفسرون طي الأرض بذلك ، فعرش بلقيس بدل أَن يفاض وجوده في أرض اليمن يفاض في فلسطين.

الثَّالث : الأصوات المسجلة ؛ فإِنَّ السامع يظنها تُبث حيّاً.

وغيرها من موارد أَخطاء الحسِّ.

وبالجملة : إِنَّ عالم الحس لضعفه وعدم انضباطه لا يُعتمد عليه ؛ بحيث يُجعل هو الصنم الأَكبر ، فلا بُدَّ لضبط أَخطاء الحسّ ـ وكذا الخيال والوهم ـ من الاعتماد على العقل ومن ورائه الوحي.

الفائدة : (٤ / ١٢٥)

قاعدة عقليَّة

هناك قاعدة عقليَّة مَعرِفيَّة ، وهي : أَنَّ (الغاية هي الأساس لذي الغاية، لا العكس) ، فالغاية هي الأصل والعلَّة ، والـمُغيَّى هو الفرع والمعلول.

هذا ، بالنِّسبَة إلى الغاية الفاعليَّة الوجودية ، أَمَّا الماديَّة فهي على أَطوار وشؤون مختلفة.

الفائدة : (٥ / ١٢٦)

شيئيَّة الأشياء بالمشيئة الإِلهيَّة

إِنَّ شيئيَّة المخلوقات وكينونتها أَشياء ؛ إِنَّما هو لأَجل تَعلُّق المشيئة الإِلهيَّة بها.

الفائدة : (٦ / ١٢٧)

التَّضاد ومحدوديَّة المخلوقات

التَّضاد والمعرفة الإلهيَّة

إِنَّ الله سبحانه خلق لكلِّ شيءٍ ضدّاً ؛ لكي يعرف : أَنَّه (سبحانه) لا ضد له ، ومن ثَمَّ ورد عن أَمير المؤمنين عليه السلام : **((وبمضادته بين الأَشياء عُرف أَنَّ لا ضد له))** [١] .

الفائدة : (٧ / ١٢٨)

حقيقة ومقتضى حرفيَّة المخلوق عدم استقلاله

إِنَّ تمام عِزِّ الموجود وفخره : نِسْبَة عبوديَّته إِلى الخالق سبحانه ، وتمام فخره : نِسْبَة ربوبيَّة الخالق له.

وهذا المفاد العقلي مستفاد من قول أَمير المؤمنين عليه السلام : **((كفى بي عِزّاً أَنْ أَكون لَكَ عَبْدَاً ، وكفى بِي فَخْراً أَنْ تَكُونَ لِي رَبّاً))** [٢] .

الفائدة : (٨ / ١٢٩)

البدء هو الختم في كلّ مخلوق

هناك قاعدة تكوينيَّة ذُكرت في بيانات روايات أَهل البيت عليهم السلام، وهي : أَنَّ نقطة البدء لكُلِّ مخلوق هي نقطة النهاية، عن جابر الأَنصاري ، قال: **((بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سلمان الفارسي ، والمقداد بن الأسود الكندي ،**

---

(١) الكافي، ٦ : ٥٣١ .

(٢) بحار الأنوار، ٧٤ : ٤٠٠ / ح٢٣ . الخصال، ٢ : ٤٥ .

وأبي ذر جندب بن جنادة الغفاري ، و ... ثُمَّ أقبل علينا بوجهه الكريم على الله وقال لنا : ... والله المكنون ونحن المكنونون ، والله البارئ ونحن البريَّة ... موصولون لا مفصولون.

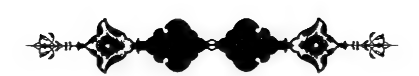
فهلَّل نفسه فهلَّلناه ، وكبَّر نفسه فكبَّرناه ، وسبَّح نفسه فسبَّحناه ، وقدَّس نفسه فقدَّسناه ، وحمد نفسه فحمدناه ، ولم يغيبنا وأنوارنا تتناجى وتتعارف مسمين متناسبين ، أزليين لا موجودين ، منه بدأنا وإليه نعود...))[١] .

وهذا أَحد تأويلات قوله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٢] ، فإِنَّ اللَّام في قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ﴾ بمعنى : من .

الفائدة : (٩ / ١٣٠)

قاعدة معرفيَّة

التَّفكر في الأفعال تُدرَك به عظمة الفعل ، وعظمة الفعل تُدرَك بها عظمة الفاعل.



(١) الهداية الكبرى ، ٤٤٩ ، ح٥٦ ـ خلق النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام .

(٢) البقرة : ١٥٦.

الباب الثَّاني

العدل الإلهي

وفيه : ثلاثة فصول

الفصل الأَوَّل

القضاء والقدر

وفيه : فائدتان

الفائدة : (١ / ١٣١)

الخـيـر والـشَّـر

إِنَّ تقدير كلِّ الخير والشَّرِّ عند الله ، قال تعالى : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (١) .

لكن : هذا ليس معناه أَنَّ الشَّرَّ سببه منه تعالى ، بل البرمجة والهيمنة والتَّقدير ، فشرور عالم الأبالسة والشَّياطين والنَّجاسات والقذارات لا تخرج

(١) النساء : ٧٨.

عن هيمنته وإرادته سبحانه، بل سببية الشُّرور من المخلوق ؛ لأَنَّ الشُّرور أَعدام بسبب الممانعة عن استفاضة الخير ، وهو سبحانه منبعه ، والمخلوق يُعدم قابليَّة نفسه ويحرمها من تلقي الخير والفيض الإلهي.

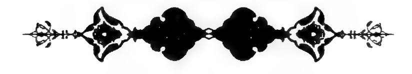
الفائدة : (٢ / ١٣٢)

الفارق بين (من الله) و (عند الله)

يوجد فارق بين التَّعبير القرآني (من الله) و(عند الله) :

فإِنَّ الأَوَّل يراد به : أَنَّ التَّسبيب منه تعالى.

والثَّاني يراد به : أَنَّ التَّقدير منه سبحانه والتَّسبيب من المخلوق ، كما هو حال الخير والشَّر ، فإِنَّ الشَّر ليس من الله ، بل الخير والحسن منه تعالى ، ولكن تقديرهما ـ الخير والشَّر ـ من عنده سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (١) .



(١) النساء : ٧٨، ٧٩.

الفصل الثَّاني

الأَمر بين الأَمرين

وفيه : ثلاث فوائد

الفائدة : (١ / ١٣٣)

عطيَّـة الخالق

إِنَّ عطيَّة الخالق للمخلوق ـ والتي لا استقلال للمخلوق فيها ـ كونها من الخالق ؛ حيثية أَعظم كرامة للمخلوق من كونها لذات المخلوق وبنحو الاستقلاليَّة ؛ لأَنَّ كُلَّ كمالٍ مفروضٍ لذات المخلوق هو محدود ومتناهٍ ، بخلاف عطاء الخالق فإِنَّه غير محدودٍ.

وإلى هذا يشير أَمير المؤمنين عليه السلام في قوله : **((كفى بي عِزّاً أَنْ أَكون لك عبداً ، وكفى بي فخراً أَن تكون لي رباً))** [١] ، ومن ثَمَّ خلوص المخلوق للخالق أَعظم كمالاً للمخلوق من أنانيَّته لنفسه.

وهذا نظير ما يقال في حقِّ الأَئمة عليهم السلام ، فإِنَّهم ليسوا بأنبياء ، بل وزراء لسيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، لكنَّه لَـمَّا كانت دولة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله **غير محدودة** كانوا عليهم السلام **أَعظم** من بقيَّة الأنبياء والرُّسل عليهم السلام ، فكونهم وزراء وأوصياء

(١) بحار الأَنوار ، ٧٤ : ٤٠٠ / ح٢٣ . الخصال ، ٢ : ٤٥ .

لسيد الأَنبياء ﷺ أَعظم من وصف بقيَّة الأَنبياء والرُّسل بالنبوَّة والرِّسالة لذاتهم ، نظير وزراء الدَّولة العظمى ، فإِنَّهم أَعظم مقاماً من رؤساء وملوك الدُّول المتوسطة والصغيرة.

الفائدة : (٢ / ١٣٤)

قاعدة معرفيّة

كُلَّما ازداد المخلوق كرامةً على الله ازداد أَكثر فاقةً وحاجةً إليه ، لا أَنَّه يستقل عن الذَّات المُقدَّسة.

الفائدة : (٣ / ١٣٥)

ازدواجيَّة المخلوق بين الحدِّ واللاتناهي

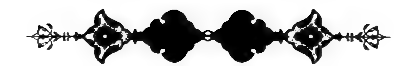
هناك قاعدة معرفيَّة نبَّهت عليها الرُّوايات كثيراً ، وأُشير إليها في كلمات أَهل المعرفة ينبغي الإِلتفات إليها ، وهي : (إِنَّ الفضائل فضائل لكنَّها في مواضعها لا بقول مطلق ، وكذا الرَّذائل رذائل لكنَّها ليست بشكل مطلق) ، فإِنَّ كلَّ فضيلة بين حدَّين من رذيلتين ، فإذا توسَّطت وأُخذ بالوسط فهي مراتب لا حدَّ لها اشتداداً في التَّوسط.

فمثلاً : الشجاعة ، فرغم أَنَّها فضيلة لكن لو تجاوزت حدَّها انقلبت رذيلة وهي التَّهوُّر ؛ وذلك لأَنَّ لكلِّ مخلوقٍ حدّاً فإِذا تجاوزه انقلب حكمه إِلى

ضدِّه ، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : ((**أَنَّ الوفاء لأَهـل الغدرغـدر عند الله ، والغدر بأَهل الغدر وفاء عند الله**)) (١) .

بل هذا المبحث جارٍ في الأَسماء الإلهيَّة فضلاً عمَّا دونها من المخلوقات ، ومن ثَمَّ ورد عن مولانا الحُجَّة ابن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف في دعاء الافتتاح: ((**وأَيقنتُ أَنَّك أَنت أَرحمُ الرَّحمين في موضِع العفو والرَّحمة ، وأَشدُّ المُعاقبين في موضِع النَّكال والنَّقِمَة ، وأعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمة**)) ، فالرَّحمة الخاصَّة لا تتأَتى ولا تتجلَّى في غير موضع العفو والرَّحمة ، وأَشدُّ المعاقبين لا يتأَتى ولا يتجلَّى في غير موضع النَّكال والنَّقمة ، وهكذا الأَمر في بقيَّة الأَسماء الإِلهيَّة.

وهذا معنى محدوديَّة الأَسماء والصِّفات ، دون الهويَّة الغيبيَّة للذَّات الأَزليَّة.



(١) نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ١ : ١٠٢ .

الفصل الثَّالث

البَداء

وفيه : فائدة واحدة

فائدة : (١ / ١٣٦)

بعض معاني البَداء

أَحد معاني البَداء المُهمَّة : اشتباك وتداخل الأَسباب والمسببات ، والمقتضَيات ـ بالفتح ـ والمقتضِيات ـ بالكسر ـ ، وسعة عالم المشيئة الإِلهيَّة ـ فالنبي إبراهيم عليه السلام حينما قال : ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [(١)] ، استثنى بعد ذلك : ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ، فرغم أَنَّه من أُولي العزم لكنَّه يبقى على وجلٍ ؛ لسعة عالم المشيئة ، وعدم إحاطته بذلك ـ وأَنَّ يد الله ليست مغلولة ، وأَنَّه تعالى ليس له حدٌّ ، ففعله كذلك.

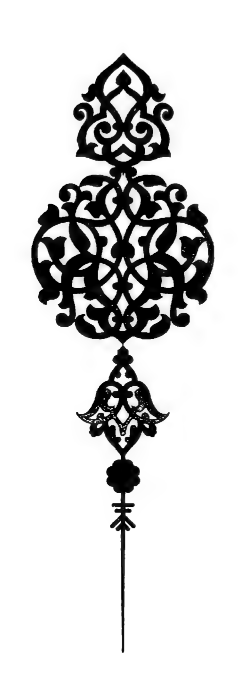
وبالجملة : البَداء يرجع إلى سعة المشيئة الإِلهيَّة ، فلذا ورد في التنزيل الكريم : ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [(٢)] .

---

(١) الأَنعام : ٨٠ .

(٢) يوسف : ٨٧ .

وسبب وقوع اليهود والمجبِّرة والأشاعرة في جملة محاذير في الصِّفات الإِلهيَّة : أَنَّهم يُلاحظون الصِّفة بحدِّها ، ولم يوازنوها مع منظومة الصِّفات والاسماء ، ومراتبهما ، واشتقاقاتهما ، والحال أَنَّه لو لوحظت جميع الصِّفات والاسماء إِلَّا صفة أَو اسم ، أَو لوحظ جميع ذلك والمراتب إِلَّا مرتبة واحدة ، أَو لوحظ الجميع وجميع الاشتقاقات إِلَّا اشتقاق واحد لـمَـاَ تـمَّت تلك المنظومة.



المَقصَدُ الرَّابع

مباحث النُّبوَّة

وفيه : سبعة أبواب

الباب الأوّل

النُّبوَّة العامَّة

وفيه : فائدة واحدة

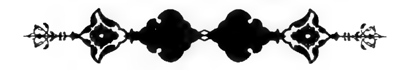
الفائدة : (١ / ١٣٧)

كشف أحوال الأنبياء عليهم السلام

كشف الباري سبحانه أَحوال أنبيائه عليهم السلام المشتملة على ترك الأَولى ؛ كيما يُعرف : أَنّ ما عداه تعالى ناقص بالنِّسبَة إليه ، وليسوا بآلهة.

والعصمة التي تقول بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام عصمة اصطفائيَّة ، وليست ذاتيَّة ، بل تتكامل برعاية الله ، فهم يتكاملون ، لكنَّهم أَكمل من غيرهم ولا يعصونه سبحانه.

واستكمال بقيَّة المخلوقات لا بُدَّ أَن يكون عن طريقهم ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[1] ، وتكذيب الآية لا يكون إِلَّا إِذا كانت الآية ناطقة ، وآيات الله الناطقة عنوان شامل لجميع الأَنبياء والأَوصياء والأَصفياء والأَولياء عليهم السلام ، فهم قدوة الإِنس والملائكة والجن وبقيَّة المخلوقات.



(١) الأعراف : ٤٠.

الباب الثَّاني

النُّبوَّة الخاصَّة لسيد الأَنبياء ﷺ

وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ١٣٨)

مرتبة سيد الأنبياء ﷺ النُّوريَّة والأنبياء رسل لها

إِنَّ جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام حتى المرتبة النَّازلة من نبينا ﷺ ـ وهي بدنه الشريف ﷺ ـ رُسل وأَنبياء للمرتبة النُّوريَّة لنبينا ﷺ ، وهذا ثابت في بيانات الوحي عند الفريقين ، كما ورد ذلك في شأن تبليغ سورة التوبة : ((**لا يُبلِّغ عنك** ـ أَي : عن قلبك المبارك الَّذي هو البيت المعمور (وهو في السماء الرابعة) ـ **إِلَّا أَنت** ـ أَي : الطبقة النَّازلة منك يا رسول الله (وهي البدن الشريف) ـ **أَو رجل منك**)) [١] .



(١) بحار الأنوار ، ٣٥: ٢٩٣. معاني الأخبار : ٢٩٨/ ح٢ .

الباب الثَّالث

مقامات سيد الأَنبياء ﷺ

وفيه : ثلاث فوائد

الفائدة : (١ / ١٣٩)

مُعلِّم التَّوحيد

إنَّ سيد الأَنبياء ﷺ الغائص والفاحص عن التَّوحيد هو مُعلِّم التَّوحيد لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ولا زال معلماً لهم في ذلك.

بل هو ﷺ مُعلِّم التَّوحيد لجبرائيل عليه السلام أَيضاً وإِن كان ـ جبرائيل عليه السلام ـ وسيطاً في الوحي النَّازل ؛ للطَّبقات النَّازلة من ذات سيد الأَنبياء ﷺ .

الفائدة : (٢ / ١٤٠)

من مقامات سيد الأنبياء ﷺ

كُلَّما جاء لفظ القرآن في المصحف الشريف بعد الحروف المُقطَّعة في أَوائل السُّور ـ كما في قوله تعالى : ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [1] ـ فهو

إشارة إلى مقام غيبي ملكوتي من مقامات سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ، وهذا ما بيَّنه الإمام زين العابدين عليه السلام في الصَّلوات على النبي صلى الله عليه وآله في دعاء فطر الصحيفة السَّجاديَّة ، مستدلاً على ذلك بجعل مقام القرآن الكريم تبعاً لمفاد ذلك الحرف المُقطَّع تالياً له ومتنزلاً منه : ((**وقلتَّ جلَّ قولك حين اختصصته بما سمَّيته من الأَسماء : ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾**[١] **، وقلتَ جلَّ قولك : ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾**[٢] **، وقلتَ تقدَّست أَسماؤك : ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾**[٣] **، وقلتَ عظمت آلاؤك : ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾**[٤] **، فخصصته أن جعلته قسمك حين أَسميته ، وقرنت القرآن به ، فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردفه إِلَّا وهو اسمه ، وذلك شرف شرَّفته به ، وفضل بعثته إِليه**))[٥] .

---

(١) طه : ١ ، ٢ .

(٢) يس : ١ ، ٢ .

(٣) ص : ١ .

(٤) ق : ١ .

(٥) دعاء فطر الصحيفة السجاديَّة ، الأمثال لابن طاووس ، والاختيار لابـن باقي ، وصاحب جنَّة الأَمان فيه ، عنهم : بحار الأنوار ، ٩١ : ٨ / ح٣ ، والبلد الأَمين ، الكفعمي : ٢٣٨ .

الفائدة : (٣ / ١٤١)

أهل البيت عليهم السلام ولاية البيت

أوَّل مخاطب في الزيارات وآية التَّطهير

إنَّ أَوَّل مخاطب في الزيارات ـ الجامعة لأَهل البيت عليهم السلام أَو الخاصَّة بكلِّ إِمام عليه السلام ، الوارد فيها عنوان أَهل البيت أَو عنوان ضمير الجمع ـ هو النبي صلى الله عليه وآله ، كما هو حال آية التَّطهير ، فإِنَّ أَوَّل مخاطب بها هو صلى الله عليه وآله ، ومن ثَمَّ فلا يُحوَّر عنوان أَهل البيت بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ؛ كيما يُتوَهَّم دخول أزواجه حينئذٍ ، بل المراد به ـ عنوان أَهل البيت ـ وأَوَّل مصاديقه هو النبي صلى الله عليه وآله ، بعد الالتفات إِلى أَنَّ الشيء لا يضاف إلى نفسه ، فلا يضاف هو صلى الله عليه وآله إلى نفسه.

والمراد من أَهل البيت : أَولياء البيت ، غاية الأَمر أَنَّ البيت قد بُيِّن في بيانات الوحي بمعانٍ عديدة.

وأَولياء تلك البيوت: أَصحاب الكساء والتسعة المعصومين من ذريَّتهم عليهم السلام .

وتلك المعاني هي :

الأَوَّل : البيت الحرام ، ومن ثَمَّ ورد في دعاء الندبة : ((**وجعلتَ له ولهم أَوَّل بيت وُضِعَ للنَّاس للَّذي ببكَّة مُبَاركاً وهدىً للعالمين ، فيه آياتٌ بَيِّناتٌ**

مقام إبراهيم ومَنْ دخَلَه كان آمناً ، وقُلتَ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١])).

الثَّاني : المسجد النَّبوي والرَّوضة النَّبويَّة ، كما ورد في دعاء الندبة أَيضاً: **((وأَحَلَّ له من مسجده ما حَلَّ له ، وسَدَّ الأَبواب إِلَّا بابَه)).**

الثَّالث : البيت الذي يحُلُّ فيه الإمام الحي عليه السلام ، فإِنَّه أينما حلَّ صار ذلك البيت مُقدَّساً وحفَّته الملائكة المقرَّبين والكرُوبيين ، وصار معراجاً للملائكة[٢] .

الرابع : البيت المعمور ، وهو الموجود في السماء الرابعة ، الذي نُزِّلَ فيه القرآن الكريم دفعة واحدة على قلب النبي صلى الله عليه وآله . وفُسِّر هذا البيت بـ : قلب النبي صلى الله عليه وآله ، والمعمور بـ : طواف الملائكة.

ودور جبرائيل عليه السلام في التَّنزيل هو ما بعد هذه المرتبة ، أَي : ما بين هذه المرتبة والمرتبة النَّازلة من بدنه الشريف صلى الله عليه وآله ، فالوحي إذن من المرتبة الصَّاعدة من النبي صلى الله عليه وآله إلى المرتبة النَّازلة منه.

وجميع الأَئمة عليهم السلام ينهلون من هذا القلب المبارك ، فلذا ورد في الحديث القدسي في تبليغ سورة التوبة: **((لا يُبلغ عنك** ـ أي : عن قلبك الذي هو البيت المعمور ـ **إِلَّا أَنْتَ أَو رَجُل منك))**[٣] .

---

(١) الأحزاب : ٣٣.

(٢) فلاحظ : أُصول الكافي ، ١ / كتاب الحُجَّة/ ١٧٧ ـ باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام/ ٣٥٠/ ح٥.

(٣) بحار الأنوار ، ٣٥ : ٢٩٣. معاني الأَخبار : ٢٩٨ / ح٢ .

وهذا معنى ما ورد : أَنَّ مصحف فاطمة عليها السلام هو من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله والحال أنّه حصل بعد وفاته صلى الله عليه وآله [١] .

الخامس : كلُّ بيت قدَّسه في السماء والأَرض ، كما ورد ذلك في زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام [٢] .

السادس : مراقد الأَئمة الأطهار عليهم السلام ، كما هو نصُّ قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣] ، وروايات الزيارات المستفيضة المتضمنة لذلك.

السابع : أَبدانهم الشريفة بيوتهم لأَرواحهم ، وكذا أَرواحهم بيوت لأَرواحهم الأَعلى طبقة [٤] .

---

(١) بحار الأنوار، ٤٧ : ٢٧١ / ح٢ . بصائر الدرجات، ٣/ الباب ١٤/ ٤١ .

(٢) المزار الكبير : ٢٤٩ .

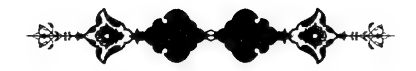
(٣) النور : ٣٥.

(٤) الكافي، ٦ : ٢٥٦-٢٥٧ .

تفسير آخر (لآية التَّطهير):

وبالجملة: إِنَّ البيت بهذه المعاني أَولياؤه أَصحاب الكساء عليهم السلام، وهو ما جاء في قوله تعالى حول المسجد الحرام: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وبذلك يتبيَّن: أَنَّ لفظة (الأَهل) في عنوان أَهل البيت: الولي والأَولياء، أَي: أَولياء أَهل البيت، وكذا آية التَّطهير.



(١) الأنفال: ٣٤.

الباب الرَّابع

حقيقة الوحي

وفيه : فائدتان

الفائدة : (١ / ١٤٢)

تجلِّي سبحانه للنَّبيِّ الأعظم ﷺ

إنَّ ما ورد عن الإِمام الصادق عليه السلام : ((قلت لأَبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك الغَشْيَة الَّتي كانت تصيب رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي ؟ فقال : ذاك إِذا لم يكن بينه وبين الله أَحد ، ذاك إِذا تجلَّى الله له ، قال : ثُمَّ قال : تلك النُّبوَّة يا زرارة ، وأقبل يتخشع))[١] ، بيان على أَنَّ الغَشْيَة التي تنتاب نبينا الأَعظم ﷺ حالة تجلِّي الباري عزّ وجلّ له: إذا لم تكن بينهما واسطة ، مع إِنَّه ﷺ لم يضطرب من مواقف عظيمة ومهولة وبقي على حالته الطبيعية ، كنزول جبرائيل عليه السلام ، والعروج به إلى ما بعد السماء السابعة ، ورؤيَّة النَّار ، وما شاكلها.

---

(١) توحيد الصدوق / كتاب التَّوحيد / ٨ ـ باب ما جاء في الرُّؤيَّة / ١١٢ / ح١٥.

بل نفسه الشَّريفة ﷺ مُحيطة ومُهيمنة على الرُّوح الأمري [١] ، بل الرُّوح الأَمري شريحة وشعاع يسير من أَرواحه المُقدَّسة ﷺ ، وهذا التَّصوير هو في مفاد قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [٢] .

بينما حال النبي عيسى عليه السلام لا يتحمل الرَّفع إلى السماء الأولى إِلَّا بالتنويم ، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [٣] .

الفائدة : (٢ / ١٤٣)

درجات الوحي

إِنَّ للوحي درجاتٍ وأنواعاً [٤] ، والطَّبقة النَّازلة منه هي بتوسط جبرائيل عليه السلام ، ويشير إلى ذلك جملة من كلمات الفريقين ، مثل ما ذكره الصدوق قدس سره في اعتقاداته ، قال : ((اعتقادنا في ذلك : أَنَّ القرآن نزل في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور ، ثُمَّ نزل من البيت

---

(١) وهو روح القدس الذي هو حقيقة القرآن الصاعدة، وجبرائيل عليه السلام رغم أَنَّه ملك عظيم، وقد وصفه الباري تعالى في كتابه الكريم بأَوصاف عظيمة ، كما ورد ذلك في سورة التكوير : ١٩ـ٢١، لكنَّه إذا قيس إليه فهو قطرة في بحره، وهو ـ روح القدس ـ ليس إِلَّا قطرة في بحر نبوة سيد الأَنبياء ﷺ ، وليس هو إِلَّا قطرة في بحر الإِمامة أَيضاً.

(٢) الشورى : ٥٢.

(٣) آل عمران : ٥٥.

(٤) منه : الصاعد ، والنازل ، والمتوسط ، والمحيط ، والمتأطلس.

المعمور في مدَّة عشرين سنة ، وإِنَّ الله تبارك وتعالى أعطى نبيه ﷺ العلم جملة واحدة)) [١] ، وذكر الطبري والقرطبي وغيرهما عن ابن عباس ، قال : ((نزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثُمَّ نزل إلى الأَرض نجوماً ... فذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾)) [٢] .

إِذنْ : للقرآن الكريم نزولان : دفعيٌّ ، ونُجوميٌّ ، والثاني بدأَ من بداية نزول جبرائيل عليه السلام ، والأَوَّل نزول جملة القرآن وحقيقته دفعة واحدة في ليلة القدر على قلب النبي ﷺ، ومن قلبه إلى قلب أمير المؤمنين عليه السلام ، وليس باستطاعة جبرائيل عليه السلام أَنْ يكون وسيطاً في النزول الأَوَّل ، وإِنَّما الذي قام به هو الرُّوح الأَمري [٣] قبل وجود سيد الأَنبياء ﷺ المبارك ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [٤] .

نعم ، بعد البعثة أَنزله الرُّوح الأَمين ، وهو جبرائيل عليه السلام من تلك المرتبة الصَّاعدة لسيد الأَنبياء ﷺ إلى المرتبة النازلة ، وهي وجوده وبدنه الشريف ﷺ ، فهو ﷺ قبل البعثة نبي لكلِّ الأنبياء ، وبعدها صار رسولاً .

---

(١) اعتقادات الصدوق : ١٠١ .

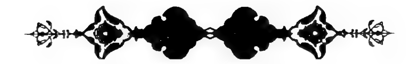
(٢) الجامع لأَحكام القرآن ، سورة الواقعة ، آية : ٧٥ـ٧٧ .

(٣) وهو مخلوق مهول ومهيمن على الملائكة المقربين فضلاً عن غيرهم ، ويسمى أَيضاً : روح القدس.

(٤) الشورى : ٥٢.

والدَّرجة الأُولى من نزول القرآن الكريم هي التي يرى بها الإمام عليه السلام ما دون العرش إلى الثرى دفعة واحدة ، فأَين هذه المرتبة من النزول من تلك ـ أَي النزول الثَّاني ـ الَّتي فيها صعود ونزول.

وهذه الحقائق في القرآن الكريم لو لم تُبيَّن عن طريق أَهل البيت عليهم السلام فمن الَّذي يشمها وتأتي على خاطره ، فعظمة القرآن الكريم لا تتجلَّى إِلَّا من خلال هؤلاء العظام عليهم السلام في الإِصطفاء ، وإِلَّا كان القرآن مهجوراً.



الباب الخامس

الدِّين ، والـمِلَّة ، والشَّريعة ، والنِّحلة

وفيه : فائدتان

الفائدة : (١ / ١٤٤)

الدِّين والشَّريعة

يوجد فارق بين مصطلح الدِّين ومصطلح الشَّريعة:

فالأوَّل يطلق ويراد به: مجموع العقائد وأَركان الفروع وأصول الواجبات والمُحرَّمات ، وهذا هو الذي بُعث به جميع الأنبياء عليهم السلام ، وهو دين سيدهم صلى الله عليه وآله ، قال تعالى :﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١) ، وقال عزَّ من قائل : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (٢) .

---

(١) آل عمران : ٨٥ .

(٢) آل عمران : ١٩ .

والثاني يراد به : تفاصيل الفروع ، وهي مختصَّة بالإنس والجن في عالم الدُّنيا بعوالمها الثلاثة ـ الدُّنيا الأُوْلى ، والبرزخ ، والآخرة من الدُّنيا وهي الرَّجعة ـ قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (١) .

والدِّين يشمل جميع المخلوقات ، وجميع عوالم الخلقة ، ولا يختصُّ ببعضها ، إلَّا أَن كُلاً بحسبه ، وقد ورد في روايات المعراج عن أهل البيت عليهم السلام أَنَّ للملائكة صلاةً وحجّاً وجهاداً ، وفي الروايات : إنَّ أَحد أشكال طواف الملائكة : طوافها حول تمثال أمير المؤمنين عليه السلام على هيأة مصرعه في محرابه ، وتمثال سيد الشهداء عليه السلام حين مصرعه ، فلاحظ ما رواه الأَعمش عن جعفر ابن محمَّد ، عن أَبيه عليهما السلام قال : **((فلمّا ضربه اللَّعين ابن ملجم على رأسه صارت تلك الضربة في صورته الَّتي في السماء ، فالملائكة ينظرون إليه غدوة وعشيَّة ، ويلعنون قاتله ابن ملجم ، فلما قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام هبطت الملائكة وحملته حتَّى أَوقفته مع صورة عليّ في السماء الخامسة ، فكلَّما هبطت الملائكة من السماوات من عُلا وصعدت ملائكة السماء الدنيا فمن فوقها إلى السماء الخامسة لزيارة صورة عليّ والنظر إِليه وإِلى الحسين بن عليّ مشحَّطاً بدمه لعنوا يزيد وابن زياد ومن قاتلوا الحسين بن عليّ عليه السلام إلى يوم القيامة.**

قال الأَعمش : قال لي جعفر بن محمَّد الصَّادق عليه السلام : هذا من مكنون العلم ومخزونه لا نخرجه إلَّا لأهله)) (٢) .

---

(١) المائدة : ٤٨.

(٢) بحار الأنوار ، ١٨ / باب : إثبات المعراج ومعناه وكيفيته وصفته / ٣٠٤/ ح١٠.

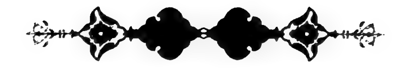
وينبغي **الإلتفات** : أَنَّ الدِّين والشَّريعة يغايران الملَّة ، والثَّلاثة تغاير الحكمة ، والأربعة تغاير العلم اللَّدنِّي ، والخمسة تغاير الطَّريقة ، والسِّتة تغاير المنهاج ، والسَّبعة تغاير السُّنن ، والثمانية تغاير الشَّاكلة ، والجميع يغاير الحقيقة ، وهي آخرها.

الفائدة : (٢ / ١٤٥)

موضوع المعارف والشرائع

المعارف بيئتها وموضوعها الحقائق ، والفقه موضوعه الشَّرائع.

والمراد من الشَّريعة : مبدأ الإِنطلاق والشروع والإِبتداء ، فلذا ورد في الدُّعاء : **((اللَّهُمَّ اجعَل ما أَقُولُ بلساني حقيقته في قلبي و شريعَتَهُ في عَمَلي))** [١] .



(١) كامل الزيارات ، الباب : ٧٩ ـ زيارات الحسين بن علي عليهما السلام / ٣٥٨ / ح١ .

الباب السَّادس

الأَديان ، والْمِلَل ، والنِّحل

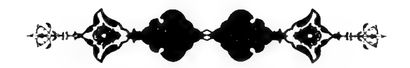
وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ١٤٦)

الدِّين كلُّه فطرة

هناك قاعدة معرفيَّة حاصلها : (أَنَّ الدِّين كلُّه متطابق مع تمام فطرة الإِنسان وبقيَّة المخلوقات ، وكذا العكس) ، فإِنَّ الفطرة سواء أَكانت ذاتيَّة أَم عقليَّة متطابقة تماماً مع كلِّ الدِّين ، قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، وعن أَمير المؤمنين عليه السلام : ((**... فَبَعَثَ فيهم رُسُلَهُ ، وواتر إِليهم أَنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فِطرته ، ويُذكِّروهم منسيَّ نِعمته ، ويحتجُّوا عليهم بالتَّبليغ ، ويُثيرُوا لهم دفائن العقول ، ويُروهم آيات المقدِرَة...**))[2] .

ومنه **يتَّضح** : أَنَّ ما لا تنفر منه بديهيَّة الفطرة السَّليمة فهو من ثوابت تعاليم وحي الله سبحانه ، فالفطرة آية لرؤية وحي الله ، وما تنفر منه بديهيَّة الفطرة السَّليمة فهو من غير الله.



(١) الروم: ٣٠.

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة الأُوْلى .

الباب السَّابع

الكتب السماويَّة وحقيقة القرآن الكريم ومراتبه وبحوثه

وفيه : فائدتان

الفائدة : (١ / ١٤٧)

حقيقة القرآن الكريم

إِنَّ حقيقة القرآن ومراتبه لا تنحصر بها في المصحف الشريف الَّذي بين الدَّفتين ، وإِنَّما لها مراتب مُتَعدِّدة ، منها : الرُّوح الأَمري ، والكتاب المكنون ، والكتاب المُبين ، والقرآن المُبين ، واللَّوح المحفوظ ، وغيرها.

وحقيقته ليست من الجمادات ، كما تسالمت عليها كلمة الفريقين ، فعن أَبي عبد الله عليه السلام ، قال : ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **تعلَّموا القرآن فإِنَّه يأتي يوم القيامة صاحِبَهُ في صورة شاب جميل شاحِب اللَّون ، فيقول له القرآن...))** [1] ، فحقيقة وجوده : مهولٌ ، حيٌّ ، عالمٌ ، شاهدٌ على أَعمال العباد.

---

(١) أُصول الكافي ، ٢ / كتاب فضل القرآن/ ٤٥٨ ـ باب فضل حامل القرآن/ ٣٧١/ ح٣.

وطبقته العليا هي الرُّوح الأَمري وروح القدس ، وهو أَحد أَرواح ذوات أَهل البيت عليهم السلام [١] ، وهذا أحد معاني معيَّة القرآن والعترة.

الفائدة : (٢ / ١٤٨)

من أعظم أوصاف القرآن الكريم

إنَّ من أَعظم أَوصاف حقيقة القرآن الكريم أَنَّه ذكر ، ثُمَّ قرآن مبين، ومن ثَمَّ قُدِّم في قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [٢] .

نعم ، هو لا يختصُّ به ، بل يشمل مطلق الوحي بما فيه السُّنَّة الشريفة، فيشملها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٣] ، فإِنَّه دالٌّ على حفظ كلٍّ من القرآن والسُّنَّة عن الإبادة بالتحريف ، فلذا حينما شنَّ الأَوَّل والثاني حرباً عليها وعاقبا مَنْ يُحدِّث بها لم تنطفئ ، وقد قام علماء الإماميَّة ـ بعد جهودهم ومجاهداتهم بحفظ تراث حديث أَهل البيت عليهم السلام ـ بالمراقبة لتراث الحديث المروي عند العامَّة ؛ للاحتجاج به على منهاج أَهل البيت عليهم السلام، وأَلَّا تعبث به الأَيادي المغرضة من الأَجيال اللَّاحقة ، والَّتي تستهدف طمس الحقائق ؛ بالحذف والدَّس والتَّغيير في كتب الحديث وكتب السِّير والتأريخ والتَّفسير ، المشتملة على ذلك ـ الحديث والسَّيرة ـ ، فإِنَّ في كلِّ ذلك

---

(١) فلاحظ : أُصول الكافي ، ١ / كتاب الحُجَّة/ ٢٧١ـ٢٧٤.

(٢) يس : ٦٩.

(٣) الحجر : ٩.

تراث للحديث النَّبوي لا يمكن التَّفريط به ، بعد تمييز الصحيح من الضعيف؛ بالعرض على محكمات الكتاب ، ومحكمات حديث العترة النبويَّة المستحفظون على علم النبي ﷺ ووحيه.

ثُمَّ إِنَّ أَصل ثوابت الوحي والذِّكر متطابق لما هو مودع في بديهيَّة فطرة الإنسان ، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) ، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (٢) ، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٣) ، ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ (٤) ، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥) ، ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ (٦) ، ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (٧) ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام : **((وواتر إِليهم أَنبياءه ليستأدوهم ميثاق**

---

(١) الروم : ٣٠.

(٢) القمر : ١٧.

(٣) الغاشية : ٢١.

(٤) الطلاق : ١٠ ، ١١.

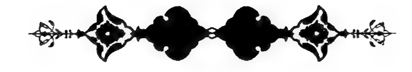
(٥) الأنبياء : ٧.

(٦) المدثر : ٥٤.

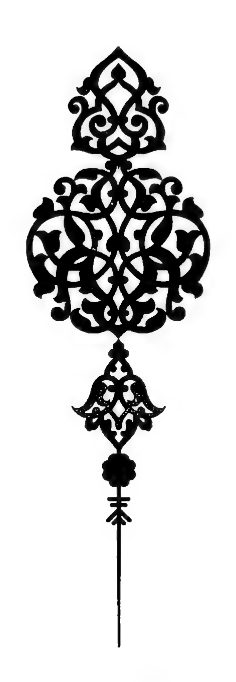
(٧) طه : ١ - ٣.

فِطرته ، ويُذكروهم منسيَّ نِعمته ، ويحتجُّوا عليهم بالتَّبليغ ، ويُثيروا لهم دفائن العقول)) [١] ، فكم أَعطى الجواد الكريم من كنوزٍ، والظالم لنفسه هو العبد.

وهذه القضيَّة مثبتةٌ بالبرهان العقليُّ أَيضاً ؛ وإِنَّه يستحيل العلم الكسبي من دون علم مطبوع ، وإِنَّ حقيقة العلم تَذكُّر ؛ فلا بُدَّ أَن يكون معلوماً من وجه.



(١) نهج البلاغة ، الخطبة الأُولى .



المَقَصَدُ الخامس

الإِمامة

وفيه : خمسة أَبواب

الباب الأَوَّل

الإِمامة والولاية الإِلهيَّة

وفيه : ثلاث فوائد

الفائدة : (١ / ١٤٩)

المَثَـل الأعلى

إِنَّ قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١) قاعدة مهيمنة في جميع قصص القرآن الكريم ، وإِنَّ كُلَّ القصص ضربها الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام ، فهم المَثَل الأعلى للباري سبحانه ، فلذلك يقال : إِنَّ سر تسمية خليفة الله بذلك : أَنَّه تجلِّي أَعظم لأَسماء الله وصفاته ، فالمعصوم حقيقته مرآة صافية **((فهم صفوة الله))** (٢) ، وآية وعلامة عليه سبحانه ، ومن ثَمَّ ورد عنهم عليهم السلام : **((هو نحن ، ونحن هو ، وهو هو ، ونحن نحن))** (٣) (٤) ، هذه معادلات أَربع .

---

(١) يوسف : ١١١ .

(٢) مفاتيح الجنان ، الزيارات الجامعة الزيارة الأُولى : ((السلام على أولياء الله وأصفيائه ...)) : ٥٧٧ .

(٣) هذا الاتحاد في الآية والحكاية ، لا في الوجود التشخصي .

(٤) مصباح الهدايَّة : ١١٤ .

وهذا معنى ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام : ((**أَشَدُّ النَّاس بَلَاءً الأَنبياءُ ثُمَّ الأَوصياءُ ثُمَّ الأَمَاثلُ فالأَماثلُ**)) [١] ؛ لأَنهم يُمحَّصون ويُصفَّون عن لون الذَّاتيَّة إلى لون العبوديَّة ، فيصيرون مرآة صافية له سبحانه ، ومن ثَمَّ كان الذوبان في المعصوم تلقائيّاً يجذب إلى الله وإِن كان بطريقٍ غير شرعيٍّ ، كهيام زليخة في النبي يوسف عليه السلام ، فإِنَّ ذلك الحب أَوصلها في نهاية المطاف إلى حب الله.

ومنه يتَّضح : فلسفة إِستمرار دوام مظلوميَّة أَهل البيت عليهم السلام : إِنَّ ذواتهم منكسرة لله ، ولا ينتقمون لأَنفسهم ؛ لأَنَّهم أَخلصوا له سبحانه ، فإِنَّ أَحد معاني المظلوم : أَنَّه لا ترى فيه رائحة وشائبة الأَنانيَّة : ((**كيف رأيتِ صنع الله بأخيك ؟ ما رأيتُ إلا جميلا**)) [٢] ، وهذا بخلاف الظالم ؛ فإِنَّ رائحة الأنانيَّة تفوح منه.

الفائدة : (٢ / ١٥٠)

طريقتهم عليهم السلام في نشر الدِّين

إِنَّ أَهل البيت عليهم السلام هم : علماء تشريح جسم الدِّين [٣] ، وأطباء روحه ولبابه ؛ ولذا عمَّ نورهم سائر المسلمين ، بل سائر البشريَّة ؛ لأَنَّ طريقتهم نشر

---

(١) الكافي ، ٢/ كتاب الإيمان والكفر/ ٢٩٣ ـ باب شِدَّة ابتلاء المؤمن / ١٦٨/ ح٤.

(٢) حينما خاطب الظالم فخر المخدرات : زينب عليها السلام .

(٣) هذا ما أشار إليه الميرزا النائيني قدس سره ، وهو صاحب مدرسة في رياضة الرُّوح على وفق الموازين الشرعيَّة كما هو صاحب مدرسة أُصوليَّة ، وهكذا حال المجلسي الأوَّل قدس سره ، فإِنَّه صاحب مدرسة روحيَّة كذلك ، وهو فقيه ومُحدِّث مُتبحِّر.

←

النور بالنور ـ لا بالقوَّة كما عليه الطرف المقابل ـ ؛ ومن ثَمَّ أَثَّروا في ارعواء أَتباع سائر الأديان والملل ، كالمسيحيين واليهود والمجوس والوثنيين ، بل وفي المذاهب المُنتحلة للإِسلام عن كثير من إِنحرافاتهم إِلى نور الهدايات الَّتي نشرها أَهل البيت عليهم السلام في كثير من أَبواب الدِّين والعلوم المتنوعة.

وهذه ظاهرة رصدتها أَحد مراكز الأبحاث العلميَّة الغربيَّة.

الفائدة : (٣ / ١٥١)

أثر المعصية والطَّاعة

إِنَّ أَحد أَكبر آثار ومفاسد المعصية ـ رغم نشوؤها عن مفسدة في نفس الفعل ـ : ولاية وتولي الشَّيطان وأَئمَّة الجور ، وأَقذر القذارات وأنجسها الاصطفاف قلباً مع أُولئك.

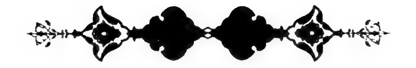
وأَعظم ما في الطَّاعات من مصلحة ـ رغم نشوؤها عن مصلحة في نفس الفعل ـ : حصول التَّوطيد والأُنس والإقبال والمحبَّة والمشايعة القلبيَّة للأَولياء ، فأعظم غايات العبادة هي الولاية ، كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [١] ، وقوله سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ

وقد جمع كلٌّ من المفيد والمرتضى والطوسي والعلَّامة والأردبيلي والبهائي والوحيد البهبهاني وكاشف الغطاء قدس سرهم بين علم الكلام والصِّناعة الأُصوليَّة ، لوحدة الترابط الأكيد بين العلمين ، فلذا أصبحوا أُسوداً في علم الكلام ومحترفين في الصِّناعة الأُصوليَّة.

(١) البقرة : ٣٤.

الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ (١) ، وقوله عزّ من قائل : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٢) ، وقوله تقدَّس ذكره : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (٣) ، وغيرها من الآيات الكريمة .

وكلُّ طاعةٍ فيها غصن من أغصان شجرة طوبى وهي الولاية.



---

(١) البقرة : ١٤٣.

(٢) الشورى : ٢٣.

(٣) إبراهيم : ٣٧.

الباب الثَّاني

حُجِّيَّة فاطمة الزهراء عليها السلام

وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ١٥٢)

مقام الزهراء عليها السلام

هناك أَسرار معنويَّة ترتبط بعلو مقام الزهراء عليها السلام :

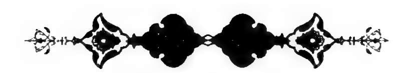
منها : أَنَّها أَسرع لحوقاً بأبيها صلى الله عليه وآله ، وعدم بقاؤها كثيراً في ظلِّ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا ما عبرَّ عنه عليه السلام حينما دفنها : ((**السلام عليكَ يا رسول الله عَنِّي ، وعن ابنتك النازلة في جوارك ، السَّريعة اللَّحاق بك... فلقد استرجعت الوديعة ، وأُخذت الرَّهينة !...**))[١] .

ومنها : أَنَّه عندما كان يَخْطِبُها الأصحاب كان جواب النبي صلى الله عليه وآله : **أَنَّ أَمرها ليس بيدي** ، وهذا يدلُّ على علو وخطورة شأنها ، فرغم هيمنته صلى الله عليه وآله وولايته عليها من جهتين : عامَّة وخاصَّة ، لكنَّه لم يبت بنكاحها.

---

(١) نهج البلاغة :٢٠٢ ، ومن كلام له عليه السلام : ٣٤٧.

وهكذا شأن الحوراء زينب عليها السلام : فحينما ولدت وأرادوا تسميتها أَحال أَبويها عليهما السلام الأَمر إلى جدها رسول الله صلى الله عليه وآله ، لكنَّه امتنع ، وأَحال أَمرها إلى السماء ، وقال صلى الله عليه وآله : **((ما كنتُ لأَسبق ربي تعالى))**[1] ، وهذا يدلُّ على علو شأنها أَيضاً ، وإِنَّها من الدائرة الاصطفائيَّة الثانية.



(١) الطراز المُذهَّب، ١ : ٤٤ .

الباب الثَّالث

الإِمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف

وفيه : فائدتان

الفائدة : (١ / ١٥٣)

توصية

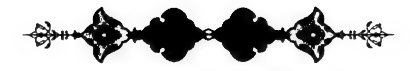
إِنَّ ما يُوَطِّد العلاقة مع الإمام الحُجَّة ابن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف : كثرة القراءة للرُّوايات الواردة حوله عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو الصَّادرة منه ، وهي التَّوقيعات المباركة ، وفي قصص التَّشريفات الَّتي رواها علماء الإِماميَّة في كتبهم بدءاً من الكليني والصدوق إلى الميرزا حسين النوري قدس سره صاحب كتاب جنَّة المأوى ؛ فإِنَّ فيها نَفَسَه الشريف ، وليكن ذلك على الأَقل في الأسبوع مرَّة.

الفائدة : (٢ / ١٥٤)

العلامات الحتميّة

إِنَّ جميع علامات الظُّهور الحتميَّة قابلة للبَداء ، إلَّا علامة واحدة ، وهي ما وردت في الخطبة القصية وخطبة المخزون لأَمير المؤمنين عليه السلام : ((**واعجباً**

كل العجب ، بين جمادى ورجب))[١] ، فإِنَّ فيها خروج الأبدال : كسلمان ، والمقداد ، ومالك الأشتر ، وأبو دجانة الأنصاري ، وأصحاب الكهف ، ونقباء بني إسرائيل ، وبقيَّة من بني إسرائيل ، فيُطهِّروا أرض العراق ثُمَّ يتَّجهوا إلى بلاد الحجاز.



(١) بحار الأنوار، ٤١ : ٣٢٠/ ح٤٤ . مختصر بصائر الدرجات : ١٩٨ .

الباب الرَّابع

الدَّائرة الإِصطفائيَّة والقواعد العامَّة في الإِصطفاء

وفيه : خمس فوائد

الفائدة : (١ / ١٥٥)

الوراثة الإصطفائيَّة

إِنَّ الوراثة الإصطفائيَّة هي أَمر إبداعيٌّ ؛ لكونها غير ماديَّة ، فالمورِّث لا يزول عنه الشيء المُوروث ، وإِن انتقل أَو أُوجد في الوارث شبهه [١] .

الفائدة : (٢ / ١٥٦)

المدح في لسان الوحي

إِنَّ المدح في لسان الوحي إِصطفاءٌ إلهيٌّ إذا انصبَّ على شخص أَو عنوان يشير إلى شخصٍ بعينه ، بخلاف ما إِذا كان المدح للوصف ـ أَي :

---

(١) قوله ﷺ : ((**نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث** ـ بالكسر مبني للفاعل ـ **ما تركناه صدقة**)) ـ صحيح البخاري ، ٤ : ١٠٢٠ ـ بيان على أَنَّهم عليهم السلام لا يحرصون ولا يسعون لِإِكتناز الأموال ، وهذا يدلُّ على التوريث لا على العدم ؛ فإِنَّه لم يقل ﷺ (لا نورَث) ـ بالفتح مبني للمفعول ـ
هذا ما أَعترف به علماء الجمهور ، خلافاً للمُستولي الأَوَّل.

للشَّخص بما هو مُتَّصف بهذا الوصف ـ ، فإِنَّه لا يدلُّ على اصطفاء الشَّخص ولا مدحه المطلق ، بل مقيَّداً بوجود ذلك الوصف ، ومن حيثيَّة ذلك الوصف لا من حيثيَّات أُخرى.

وغالباً ما يكون النمط الثاني وصفاً جماعيّاً أَو بنحو القضيَّةالكليَّة ، بخلاف النمط الأَوَّل من المدح الاصطفائي ؛ فإِنَّه بنحو القضيَّة الشَّخصيَّة.

الفائدة : (٣ / ١٥٧)

عوالم اللَّطافة لدى المعصوم عليه السلام

إِنَّ للمعصوم عليه السلام عوالم من اللَّطافة خاصَّة به لا يصل إليها غيره ، وهذه أَحد معاني الحديث القدسي : **((لو لم أَخلق علياً لِـمَـا كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه))** [١] .

ثُمَّ إِنَّ هذا البيان هو أَحد الأَدلَّة على علو رتبة عصمة الزهراء عليها السلام على بقية الأَئمة عليهم السلام فضلاً عن بقيَّة الأَنبياء عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار ، ٤٣ : ٩٢ ، ح٣ . عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، ١ / ٢١ ـ باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في تزويج فاطمةعليها السلام / ١٦٨/ح٣.

الفائدة : (٤ / ١٥٨)

رتبيَّة الدَّائرة الإصطفائيَّة الثَّانية

إنَّ علو رتبة الطَّبقة الإصطفائيَّة الثَّانية لأَهل البيت عليهم السلام على بقيَّة الأَنبياء والرُّسل عليهم السلام أَشارت إليها بيانات الوحي ، **منها** : ما ورد في قوله تعالى : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [١] **بتقريب** : أَنَّ الآية الكريمة شاملة بإطلاقها لآباء وأَجداد النبي صلى الله عليه وآله فضلاً عن الدَّائرة الإصطفائيَّة الأُولى لأَهل البيت عليهم السلام ، وقد وصفتهم : أَنَّهم شهداء على النَّاس ـ أَي : على جميع أعمالهم الجوارحيَّة والجوانحيَّة والعقائديَّة ـ من الأَوَّلين والآخرين ، ولم يُقرِّر القرآن الكريم هذا الوصف لباقي الأَنبياء من أُولي العزم عليهم السلام فضلاً عن غيرهم.

وهكذا بقيَّة الآيات المشار إلى دلالتها في الرُّوايات [٢] .

---

(١) الحج : ٧٨.

(٢) ومن أراد الإستزادة والتَّفصيل فليراجع : كتاب الدائرة الإصطفائيَّة الثانية ، ج٣ ، ٤ .

الفائدة : (٥ / ١٥٩)

آباء وأجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام

وقع خلاف في آباء وأجداد سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسيد الأَوصياء عليه السلام ، فذهب بعضٌ : أَنَّهم أوصياء ، وذهب آخر : أَنَّهم أنبياء.

والحقُّ : أَنَّهم أرفع اصطفاءً من بقيَّة أُولي العزم ؛ لشواهد قرآنيَّة عديدة ، أُشير إليها في بيانات الرُّوايات ، وليسوا تابعين لشريعة من الشرائع السابقة المعروفة ، كشريـعة إبراهيم ومـوسى وعيسى عليهم السلام ، وإِن كانوا على ملَّة إبراهيم عليه السلام.

وروي بسند مستفيض عن النبي صلى الله عليه وآله : أَنَّ عبد المطلب عليه السلام سنَّ خمس سنن في الجاهلية أَجراها ـ أمضاها ـ الله في الإِسلام ، وهي أساسيَّة في خمسة أَبواب ركنيَّة في فقه الفروع ، ففي باب الدِّيَّات : جعل ديَّة القتل مائة من الإبل ، وفي باب الحج : جعل الطواف سبعاً ، وفي باب النكاح : حرّم نكاح الأبناء لنساء الآباء ، وفي باب الأَوقاف والصَّدقات : حفر زمزم وسماها سقاية الحاج ، وفي باب الزَّكاة والضَّرائب المالية : جعل الخمس على الكنز، عن جعفر بن محمَّد ، عن أَبيه ، عن جدِّه ، عن عليّ بن أَبي طالب عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أَنَّه قال : ((.. **يا علي ، إِنَّ عبد المُطَّلب سن في الجاهليَّة خمس سنن أَجراها الله عز وجل في الإِسلام : حرَّم نساء الآباء على الابناء ، فأَنزل الله عز وجل :** ﴿وَلَا

تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [١] ، ووجد كنزاً فأَخرج منه الخمس وتصدَّق به ، فأَنزل الله تبارك وتعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [٢] ، ولـمَّا حفر زمزم سماها سقاية الحاج ، فأَنزل الله تبارك وتعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [٣] ، وسنَّ في القتل مائة من الإِبل فأجرى الله ﷺ ذلك في الإسلام ، ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبد المُطَّلب سبعة أَشواط ، فأجرى الله ذلك في الإسلام)) [٤] .

وتعبيره صلى الله عليه وآله : بأجراها الله لا بأجريتها يدلُّ على علو شأنه عليه السلام .

وورد كذلك : أَنَّ أَوَّل من قال بالبَداء : عبد المُطَّلب ، وهو باب معرفي خطير ، ومن أَصعب مباحث التَّوحيد والنُّبوَّاة ، عن أَبي عبد الله عليه السلام ، قال: ((**إِنَّ عبد المُطَّلب أَوَّل مَنْ قال بالبَدَاء...**)) [٥] .

وورد أَيضاً : أَنَّه عليه السلام يُحشر وعليه سيماء الأَنبياء وبهاء وهيبة الملوك ، عن أَبي عبد الله عليه السلام قال : ((**يُـحْشَرُ عبد المُطَّلب يوم القيامة أُمَّةً واحِدَةً ، عليه**

---

(١) النساء : ٢٢.

(٢) الأنفال : ٤١.

(٣) التوبة : ١٩.

(٤) بحار الأَنوار ، ١٥ : ١٢٧/ ح٦٧ . الخصال ، ١ : ١٥ .

(٥) أُصول الكافي ، ١ : ٤٤٧ / ح٢٣ ، وعلى منواله : ح٢٤.

سيماءُ الأَنبياء وهَيْبَةُ المُلُوكِ))[١] ، وعنه عليه السلام أَيضاً : **((يُبْعَث عبد المُطَّلب أُمَّةً ، عليه بَهَاءُ المُلُوك وسِيَماءُ الأَنبياء ...))**[٢] .

ونُزِّل في القرآن الكريم في شأنه سورة كاملة تحكي عن بطولاته وبطولات بني هاشم ، في مقابل فرار وخذلان كل بطون قريش وأحلافهم ، وهي سورة الفيل[٣] ، فإِنَّ سائر بطون قريش وغيرهم من أَحلافهم تركوا مكَّة المكرَّمة فراراً من جيش أبرهة، ولكنَّه عليه السلام لم يستسلم لأبرهة ولم يسأله الرجوع والكفَّ عن عدوانه ، فلم تتحرَّك الفيلة بفعله عليه السلام ، ولم ينكسر رغم أَنَّه بقي وحيداً فريداً لا ناصر له ، وكان أبرهة يطمع في إِنكساره وتذلّـله ، وهذا مروي عند الفريقين[٤] .

وهكذا حال هاشم عليه السلام ، فإِنَّه ورد في شأنه سورة الإيلاف ، وظاهرة الإيلاف سنّة سنّها عليه السلام .

وهكذا حال حمزة وجعفر عليهما السلام ، فإِنَّه ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٥] وقوله تقدَّس ذكره: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٦] : إِنَّهما يشهدان ويراقبان

---

(١) أُصول الكافي، ١ : ٤٤٧ / ح٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ح٢٤ ، وعلى منواله : ح٢٣.

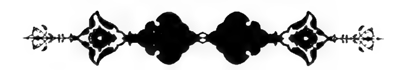
(٣) وإن جعلها المخالف ذماً.

(٤) الكافي، ١ : ٤٤٧ / ح٢٥.

(٥) البقرة : ١٤٣.

(٦) الحج : ٧٨.

أعمال جميع الخلائق حتى أُولي العزم ، وهذا بيان على أَنَّهما عليهما السلام أَرفع شأناً من أُولي العزم عدا سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وعليّ وفاطمة وبقيَّة الأئمة الأطهار عليهم السلام أَرفع منهما ، عن يوسف بن أَبي سعيد ، قال : ((**كنت عند أَبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقال لي : إِذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق كان نوح صلّى الله عليه أَوَّل من يدعى فيقال له : هل بلَّغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : من يشهد لك ؟ فيقول : محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، قال : فيخرج نوح عليه السلام فيتخطَّى النَّاس حتَّى يجيء إِلى محمَّد صلى الله عليه وآله وهو على كثيب المسك ومعه عليٌّ عليه السلام ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ لَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾**[1] ، **فيقول نوح لمحمَّد صلى الله عليه وآله : يا محمَّد ، إِنَّ الله تبارك وتعالى سألني هل بلَّغت ؟ فقلت : نعم ، فقال : من يشهد لك ؟ فقلت : محمَّد صلى الله عليه وآله ، فيقول : يا جعفر يا حمزة ، اذهبا واشهدا له أَنَّه قد بلَّغ. فقال أَبو عبد الله عليه السلام : فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء عليهم السلام بما بلَّغوا ، فقلت : جعلت فداك فعليٌّ عليه السلام أَين هو ؟ فقال : هو أَعظم منزلة من ذلك**))[2] .



(١) الملك : ٢٧ .

(٢) الروضة من الكافي ، ج٨ / حديث نوح عليه السلام يوم القيامة / ٢٦٧ / ح ٣٩٢.

الباب الخامس

مصحف فاطمة عليها السلام

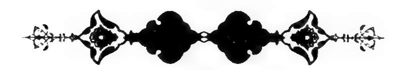
وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ١٦٠)

مصحف فاطمة عليها السلام

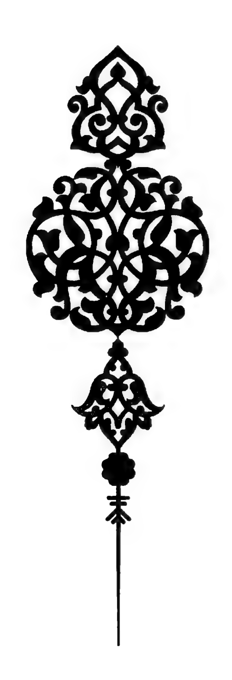
المعروف في كلمات علماء الإمامية : أَنّ فاطمة الزهراء عليها السلام تلقت مصحفها من نور سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله لا من بدنه الشريف.

وهذا ما يشير إليه الحديث القدسي في قضيَّة تبليغ سورة براءة : ((**لا يُبلِّغ عنك إِلَّا أَنت أو رجل منك**))[١] ، فإِنَّ المراد من : ((عنك)) هو المقام النوري لنبينا صلى الله عليه وآله ، وهو طبقة من طبقات ذاتـه الشريفة ، مثل طبقة قلبه المهول ، وهي البيت المعمور في السماء الرابعة ، ومن ثَمَّ ورد أَيضاً : أَنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام إذا كان في سفر ونزل الوحي على سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله في المدينة المُشرَّفة سمع به ، ونـزل صـدى التَّرددات الوحيانيَّة عليه أَيضاً ، وهو ما أشار إليه قول سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله : ((**إِنَّك تسمع ما أسمع وترى ما أَرى إِلَّا أَنَّك لست بنبي ولكنَّك لوزير**))[٢] .



(١) بحار الأنوار ، ٣٥: ٢٩٣ . معاني الأَخبار : ٢٩٨ / ح٢ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة : ١٩٢ / المسماة بالقاصعة.



المَقَصَدُ السَّادس

المعاد

وفيه : خمسة أَبواب

الباب الأَوَّل

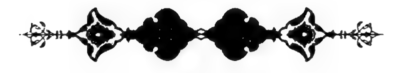
عالم الموت

وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ١٦١)

وحدة حقيقة النوم والموت

توجد هناك وحدة جنسيَّة بين النوم والموت ، كما يشير إلى ذلك قول سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : **((كما تنامون تموتون ، وكما تستيقظون تبعثون))** [١] ، فكما أَنَّ النوم ليس بعدم [٢] فكذا الموت ، فإِنَّه كمال وتكامل وحركة وانتقال ومغادرة ، ويقابله الحياة الدُّنيويَّة ، وهي : عدم مغادرة الأَرواح للأَجسام الغليظة ، كما ورد ذلك في حقِّهم عليهم السلام : **((إِنَّه يموت مَنْ مات منّا وليس بميت))** [٣] ، يعني أَنَّ الميت عند غيرهم عليهم السلام يحصل له عزوف عن تصرفاته في عالم الدُّنيا بخلافهم عليهم السلام [٤] ، ومن ثَمَّ يتوهَّم مَنْ يظنُّ أَنَّ سلسلة مراتب الولاية تتبدَّل من أَصل إلى أَصل.



---

(١) الجامع لأَحكام القرآن (القرطبي) ، ١٥ : ٢٦١ ، ذيل الآية : ٤٢ من سورة الزمر ، روضة الواعظين : ٥٣ ، مع تفاوت يسير.

(٢) فإِنَّه عبارة عن حركة الرُّوح وهي الإنسانيَّة ، نعم النَّفس الحيوانيَّة والنباتيَّة لا تحصل فيها تلك الحركة حالة النوم.

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة : ٨٧ .

(٤) موت المعصوم عليه السلام ليس كغيره ؛ فإِنَّ له طاقاته وقدراته وحياته المختلفة ، فذاك سلمان حينما حضر أَمير المؤمنين والحسنان عليهم السلام لتجهيزه أَراد أَن يقوم لتأدية التحية وهو ميت ، فهذا حال أَصحابهم فما ظنُّك بهم !!

الباب الثَّاني

البرزخ

وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ١٦٢)

الــبــرزخ

المعروف في كلمات علوم المعارف : أَنَّ البرزخ منطقة ما بين عالم الدُّنيا والآخرة ، **لكنَّ الحقَّ** : أَنَّه نومٌ ومنطقةٌ بين عالمين من عوالم الدُّنيا الأَولى والآخرة من الدُّنيا ، وهو المراد في كثيرٍ من آيات القرآن الكريم المرتبطة بالرَّجعة ، لا القيامة الكبرى والآخرة الأَبديَّة ؛ فإِنَّ للإنسان عدَّة رجعات إِلى الدُّنيا ، إِلَّا الذين اصطلاهم العذاب الإِلهي العاجل في الحياة الأُولى من الدُّنيا.



الباب الثَّالث

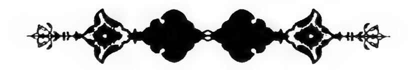
الرَّجعة

وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ١٦٣)

عمر الرَّجعة

ورد في الرُّوايات : أَنَّ الرَّجعة من عالم وآخرة الدُّنيا ، ومدتها أَربعة أَخماس عمر الدُّنيا ، فلاحظ : ما رواه حمران بن أَعين : **((عمر الدُّنيا مائة أَلف سنة ، لسائر الناس عشرون أَلف سنة ، وثمانون أَلف سنة لآل محمَّد عليه وعليهم السَّلام))** [١] .



(١) مختصر البصائر ، تتمَّة ما تقدَّم من أَحاديث الرَّجعة / ٤٩٤/ ح (٥٥٧/ ٥٠). بحار الأَنوار ، ٥٣/ ١١٦ /ح٢٢.

الباب الرَّابع

القيامة

وفيه : فائدتان

الفائدة : (١ / ١٦٤)

يوم القيامة

سميَّ يوم القيامة بذلك ؛ لأَنَّه اليوم الَّذي تتبيَّن ويتبدَّى فيه : أَنَّ قوام كلِّ الأشياء بالله ، قال تعالى : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١] [٢] ، وقال عزَّ من قائل : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا [٣]﴾ [٤] ، أي : أَنَّ كلَّ شيءٍ ولحاظ يحجب عن عظمة الله سبحانه يرتفع ، ويعود ذرّاً يصطفُّ مع بقيَّة ذرَّات المخلوقات في اصطفاف سواء.

إذنْ : عالم القيامة : عالم معرفيٌّ عظيم ، ومعرفته تولِّد وتنبع منها مكارم الأخلاق ، وتُذيب الرَّذائل والحُجب والظُّلمات ؛ لأَنَّه عالم نوريٌّ ومشهد

---

(١) غافر : ١٦.

(٢) هذه أحد تأويلات الآية الكريمة .

(٣) قاع صافية .

(٤) طه : ١٠٥، ١٠٦.

روحيٌّ متوهِّج ، ويُعرف فيه : أَن كلَّ ما كان من جبال انيَّات المخلوقات واستقلالها ومحاسباتها السابقة هي وَهْم وسراب.

ولـمَّا كان الإنسان يعيش الأَوهام في هذه الدُّنيا عمَّت الظلمة والأمراض.

وهذه المعارف ليست تنظيراً تجريديّاً وخواءً ، بل هي مُخُّ سعادة الإنسان وإِن كان في عالم الدُّنيا ، ومن ثَمَّ إِذا تكامل يوصف بقوله تعالى : ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (١) (٢).

وبالجملة : تـمام حقيقة المخلوق هي مرآتيته وآيتيته لربِّه ، وكلُّ ما عداها : وَهْمٌ وسراب ، ومن ثَمَّ لا مجال لتَّعطيل المعرفة الإِلهيَّة في عالم المخلوقات ؛ بتوهم انقطاع ارتباطها ، نعم الكثير منه وَهْم وتبدُّد.

الفائدة : (٢ / ١٦٥)

حقيقة القيامة : تجلِّي قوام الحقيقة

يقال : إِنَّ أَحد معاني الآيتين الكريمتين : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٣) ، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه﴾ (٤) : أَنَّ يوم القيامة يتبيَّن : أَنَّ المعنى

---

(١) الزمر : ٦٩.

(٢) أعداء الدِّين لا يُريدون للبشريَّة خيراً ؛ فإِنَّ من أراد الخير لا يمكنَّه إِلَّا أن يجعل القيامة والحساب أساسه.

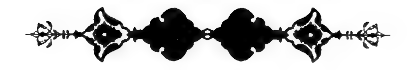
(٣) الرحمن : ٢٦.

(٤) الأحقاف : ٣٥.

الإستقلالي هو الذَّات الإلهيَّة فحسب ، وما عداها معانٍ حرفيَّة طفيليَّة ، ففي ذلك اليوم تقوم المعرفة بحقيقتها ، ويتبيَّن قيام كُلِّ الأَشياء به عظمت آلاؤه ، قال تعالى : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [(١)] ، وقال تقدَّس ذكره : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [(٢)] ، وقال عزَّ من قائل : ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [(٣)] ، و ﴿الْأَمْرَ﴾ بمعنى : الولاية والقاهريَّة والقدرة وعدم استقلاليَّة المخلوقات.

لكن : في دار الغرور لا تُدرك حقيقة ذلك .

ومنه يتَّضح : أَنَّ اللَّام الموجودة في قولهم : ((موجود في نفسه بغيره لغيره)) ليست لام العرض، بل لام الملك ، أَي : مملوك لغيره.



(١) غافر : ١٦.

(٢) المطففين : ٦.

(٣) آل عمران : ١٥٤.

الباب الخامس

الشَّفاعة

وفيه : فائدة واحدة

الفائدة : (١ / ١٦٦)

حقيقة الشَّفاعة

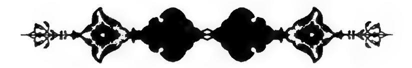
إِنَّ معنى الشَّفاعة : الاقتران بين الأسماء ، فإِنَّها مشتقة من الشَّفع ، أي: الزوج.

وأَحد أسرار ضرورة ولا بُديَّة الشَّفاعة : منظوميَّة الأَسماء ومجموعها ، فمن دون الشَّفاعة لا يتقرَّر التَّوحيد ؛ لأَنَّ الَّذي لا يؤمن بالشَّفاعة وكذا التَّوسل يؤمن ببعض الأسماء وينكر الأُخرى ، فحقيقة جحد الشَّفاعة والتَّوسُل هو إِنكار لبعض الأَسماء ، والإِقتصار في الإِيمان على بعضها الآخر ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] ، والإِلحاد في الأَسماء إِنكار لها.

---

(١) الأعراف : ١٨٠.

وبالجملة : إِنَّ حقيقة الشَّفاعة هي الإِيمان بجميع منظومة الأسماء ، وهذه هي حقيقة التَّوسل ، فإِنَّه عبارة عن جمع بين الأَسماء لا بتر بعضها عن بعضٍ ، ولا أحدُهما ـ الشَّفاعة والتَّوسل ـ مبتورٌ عن الآخر.



فهرس المحتويات

المَقصَدُ الأَوَّلُ

قواعد أُصول الفقه في علم الكلام

منهج المعرفة

نظريَّة المعرفة

منطق المعرفة

وفيه : خمسة أبواب

الباب الأَوَّلُ

لسان ومصطلحات المعرفة والنظام اللُّغوي فيها

نظام القراءات في النَّصِّ الدِّيني

وفيه : ثماني عشرة فائدة

الباب الثَّاني

قواعد في أُصول الحُجِّيَّة والمعرفة العقائديَّة

قواعد نظميَّة في المعرفة

وفيه : ثلاث وعشرون فائدة

الباب الثَّالث

الفوارق بين المدارس المعرفيَّة

وفيه : ثلاث فوائد

الباب الرَّابع

الغلو والتَّقصير

وفيه : فائدتان

الباب الخامس

ما يرتبط بالإِدراك والذِّهن

وفيه : فائدة واحدة

المَقصَدُ الثَّاني

القواعد العامَّة في عالم التَّكوين

(الإِلهيَّات بالمعنى الأعم)

وفيه : سبعة أَبواب

الباب الأَوَّل

القواعد النظميَّة في معرفة التَّكوينيَّات

وفيه : فائدة واحدة

الباب الثَّاني

القواعد العامَّة للأَجسام

وفيه : فائدة واحدة

الباب الثَّالث

تقسيم العوالم

وفيه : فائدة واحدة

الباب الرَّابع

المُجرَّدات (معنى اللَّطيف)

وفيه : أَربع فوائد

الباب الخامس

عالم الخيال

وفيه : فائدة واحدة

الباب السَّادس

الجسميَّة وطبقاتها

وفيه : ثمان فوائد

الباب السَّابع

الرُّوح والنَّفس

وفيه : اثنتي عشرة فائدة

المقَصَدُ الثالث
الإِلهيَّات بالمعنى الأخصِّ
وفيه : بابان
الباب الأوَّل
التَوحيد

وفيه : ثلاثة فصول

الفصل الأَوَّل

التَّوحيد وأقسامه

وفيه : أُمور ثلاث

الأَمر الأَوَّل

إِثبات معرفة الذَّات الإِلهيَّة

وفيه : ثلاث فوائد

الأَمر الثَّاني

الرُّؤيَة

وفيه : فائدتان

الأَمر الثَّالث

المعرفة بالآيات ، ونفي التَّجسيم والتَّعطيل

وفيه : اثنتي عشرة فائدة

الفصل الثَّاني

الصِّفات والأَسماء

وفيه : أُمور ثلاث

الأَمر الأَوَّل

مطلق الصِّفات والأَسماء

وفيه : إِحدى وعشرون فائدة

الأَمر الثَّاني

الصِّفات الذَّاتيَّة

وفيه: ثلاث فوائد

الأَمر الثَّالث

الصِّفات الفعليَّة

وفيه: خمس فوائد

الفصل الثَّالث

الأفعال الإِلهيَّة

البحوث التفصيليَّة لعالم التَّكوين

وفيه : تسع فوائد

الباب الثَّاني

العدل الإِلهي

وفيه : ثلاثة فصول

الفصل الأَوَّل

القضاء والقدر

وفيه : فائدتان

الفصل الثّاني

الأَمر بين الأَمرين

وفيه : ثلاث فوائد

الفصل الثّالث

البَداء

وفيه : فائدة واحدة

المَقصَدُ الرّابع

مباحث النُّبوّة

وفيه : سبعة أبواب

الباب الأوّل

النُّبوّة العامّة

وفيه : فائدة واحدة

الباب الثَّاني

النُّبوَّة الخاصَّة لسيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله

وفيه : فائدة واحدة

الباب الثَّالث

مقامات سيد الأَنبياء صلى الله عليه وآله

وفيه : ثلاث فوائد

الباب الرَّابع

حقيقة الوحي

وفيه : فائدتان

الباب الخامس

الدِّين ، والْـمِـلَّة ، والشَّريعة ، والنِّحلة

وفيه : فائدتان

الباب السَّادس

الأَديان ، والْمِلَل ، والنِّحل

وفيه : فائدة واحدة

الباب السَّابع

الكتب السماويَّة وحقيقة القرآن الكريم ومراتبه وبحوثه

وفيه : فائدتان

المقَصَدُ الخامس

الإِمامة

وفيه : خمسة أَبواب

الباب الأَوَّل

الإِمامة والولاية الإِلهيَّة

وفيه : ثلاث فوائد

الباب الثَّاني

حُجِّيَّة فاطمة الزهراء عليها السلام

وفيه : فائدة واحدة

الباب الثَّالث

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

وفيه : فائدتان

الباب الرَّابع

الدَّائرة الإِصطفائيَّة والقواعد العامَّة في الإِصطفاء

وفيه : خمس فوائد

الباب الخامس

مصحف فاطمة

وفيه : فائدة واحدة

المَقصَدُ السَّادس

المعاد

وفيه : خمسة أَبواب

الباب الأَوَّل

عالم الموت

وفيه : فائدة واحدة

الباب الثَّاني

البرزخ

وفيه : فائدة واحدة

الباب الثَّالث

الرَّجعة

وفيه : فائدة واحدة

الباب الرَّابع

القيامة

وفيه : فائدتان

الباب الخامس

الشَّفاعة

وفيه : فائدة واحدة

